الدكتور عبد الستار الراوي

أستاذ الفلسفة وتاريخها

جامعة بغداد

بستان الرماد

(معتقل خلف السدة ١٩٥٩)

الى ذكرى

رفاق بستان الرماد

في جهات الوطن الاربع ،الذين حلموا في رابعة النهار بنجمة عربية ثاقبة ، في سماء العالم ، تمنح الامة فرصة القيامة من وجع القرون البليدة ، ومن ظلمات الرقاد العتيد فمنهم من قضى عند الاسوار أو غاب في الزحام ومنهم من بقي منذ نصف قرن من الزمان يرقب الطريق لعل جذوة تستفيق من تحت الرماد ، تتقد نارا تتوهج بالارادة الخالقة القادرة على إستعادة الحلم التائه بين الافئدة والعقول ، بعد أنْ أصبحت بغداد أسيرة في قبضة الفاشية الامريكية ، بمثابة تقديم وحدها المقاومة الوطنية التي تقود حرب التحرير الشعبية في العراق المؤهلة على إستعادة حقائق الوطن والامة ، وهي تشرق كما الكوكب الدري في سماء العراق العربي وتواصل الفعل المقاوم المجيد من أجل الحرية والوحدة والنهضة .

عبد الستار الراوي

مصر العروبة شتاء ٢٠٠٨

بغداد : الرصافة

- شارع غازى - محلة القشل

١- جدليات الحجرة العلوية ،

الصديق الخال عبود حمادى (١٩٥٦-١٩٥٨) . وضع بين يدى أدبيات ماركسية .. وأهدانى مهدى عبدالجبار (معنى القومية) .

تناظى الأثنان :

قال الخال : الإشتراكية ضرورة قصوى لإقامة وطن حر وشعب سعيد .

قال إبن عمي : بل الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة لازمة ضرورية لبناء الامة وتحرير فلسطين ،

فإختلفا ..

٢- القشل - مقهى محمد القرغولى : مساء يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ .

قال الحاج صبرى المراياتى : التمثيل بـ (الأوادم) حرام .

قال ابراهيم البدري : لا توجد حرمة لاعداء الشعب ..

فإختلفا ..

٣- جربت مقهى القراغولى الحوار لأول مرة : رياض جبوري ، ابراهيم البدرى ، فيصل القرة غولي، شبر حسين ، وأنا . إجتمعت التخوت المتناظرة على كلمة واحدة : المستقبل .

شارع غازى : أيام ١٤ - ١٧ تموز ١٩٥٨ .

حمل الفتية صورة جمال عبدالناصر وهتف الناس :

تحيا الوحدة العربية .

عاش جمال عبدالناصر

شارع غازى : الشورجة : ١٨ تموز ١٩٥٨ .

فاجأ برهان علوان أبناء المحلة عنما أقدم على إزالة الشعارات القومية من على جدران المحلة ومنها شعار: عاش جمال عبد الناصر رائد القومية العربية ، ليكتب بدلا منها على جدار فندق ديالى وباللون الاحمر الدموي وبخط عريض عبارتين :

(إتحاد فيدرالي)

(صداقة سوفيتية)

شارع غازى : مقهى رشيد : ١٩ تموز ١٩٥٨ .

إختفت صباح اليوم صورة جمال عبدالناصر المعلقة في صدر المقهى . ظل الإطار الفارغ معلقاً .

أواخر تموز ١٩٥٨ :

الحوار تحول فى المقهى ونواحى القشل وجامع المصلوب الى جدل إنفعالى ، وإلى سجالات مثقلة بمقارنات قياسية بين جدوى الوحدة العربية في هذا الظرف ومزايا الإتحاد الفيدرالي في الوقت الراهن وفي المستقبل .

بغداد آب ١٩٥٨ :

طرفان متقابلان ، لا ثالث بينهما :

الأحمر – الأخضر .

الإتحاد – الوحدة .

الزعيم عبد الكريم قاسم – العقيد عبد السلام عارف .

الأممية – القومية العربية.

غابت الأوساط ، لم يعد أحد يتذكر بأن ثمة ألوان أخرى للحياة .. إختلطت الرؤى وتباينت الافكار ، وإرتفع سقف الخلاف ،أقامت الاحزاب جدرانا عازلة ، الايديولوجيات بدت كما الاقطاعيات تفرض سلطة البعد الواحد .. أقيمت الفواصل النفسية بين قطبي الرحى القومي العربي والشيوعي.. الإفراط والتفريط ، جعل

المفاهيم الجديدة تتقارع ، فتشتبك المقدمات بالنتائج مـع حـدة مـزاج الطـرفين وكأنهما يخوضان المعركة الاخيرة .

حرارة آب :

شمس الظهيرة الطاغية تشوي الجلود ، وتزيد من الإحساس بالتوتر ، فيمـا لـم تتوقف الحناجر الجافة عن الهتاف ..

عيدان يفرك عينيه متعجباً أن تتحول الأرائك المتنـاظرة ، الـى خنـادق متقابلـة متحفزة والوجوه متجهمة .. حلت الظاهرة الصوتية ، وإرتفـع إيقـاع الـسخرية والتهكم ، هبط مستوى الحوار الى درجة متدنية أصبح صراخا ، وإنقلـب منطـق البرهان الى ألفاظ غليظة .

أوائل أيلول ١٩٥٨ :

– رائحة المدرسة بدأت تعبق فى البيـوت والأسـواق والطرقـات وقـف محمـد القرغولى قبالة التختين (الخندقين) في وسط المقهى :

(ياجماعة الخير أنتو كلكم وُلّد هذا البلد مالذي تغير لكي تنقلب الـصحبة الطيبـة الى عداوة ومناكفة .. إسمعوا من يدخل المقهى منكم للعب أو شـرب الجـاي أو يرغب بالتفرج على التليفزيون أهلا ومرحبا به .. والذي يريد يتحـدث بالـسياسة يتفضل يطلع بره من غير مطرود.. ما أريد دوخة الرأس .. صار مفهوم .. كلامي واضح واظن لاأحد يزعل من كلمة الحق)؟!

– عاد ابو فيصل الى مكانه يدخن النار جيلة ، ويمسح العرق المتصبب من رأسه

– السلطة . القوة . التفرد . التزمت . التشدد . التطرف . الإمـلاء . الحـصيفة . القمع . الاقصاء . الأزاحة . التهتميش . المتابعة . الملاحقة . الارهاب . العنف . القتل . السحل . لم يبق الا رأسان :

– بات من الصعب التسوية بين نقيضين لم يعد أحدهما يطيق صاحبه إلا بـسيطرة أحد الطرفيين وتغييّب الأخر . ومن هنا فالشراكة بين الإثنين أصبحت ضـربا مـن المستحيل ،.. بعد أن تقابل الطرفان وجها لوجه . فالشعار الذى يتداولـه الحـزب الشيوعي هو المطالبة بأن يتولى الحكم ، مما أغاض الرجل الاول الذى يرى مـن

حقه وحده تولي السلطة .. وهو الذى قاد عملية التغيير فى وقــت كــان هــؤلاء حسب رأيه بين جدران السجون ، والمخابئ السرية والرقاد الطويل .

– الخلافيات تتحول الى صراعات .. مشاجرات .. حلت لغة القبضات والايدي

–الإيذاء الجسدي ، أبجدية أخرى تليق بالمرحلة المتأججة في الصدور .

– الأممية – القومية . الزعيم – الرئيس – الإتحاد السوفيتى – العربية المتحدة .

ثانوية الكرخ – أواخر أيلول ١٩٥٨:

المدرسة عبارة عن سوق سياسية ، تمتلئ الجدران بالشعارات ، صراع إنفعالية تتفجر صخبا مدويا في الاروقة والقاعات الدراسية ، وفي أوقات الراحة ، وقد تــصل الامــور تصل الامور الى المدافعة ، لا أحد منا تدرب من قبل على إصول الحــوار ولا خــاض نقاشــا سياسيا قبل قيام ١٤ تموز لقد وجد التلاميذ أنفسهم بين يوم وليلة كما الناس الآخرين أنهم سياسيون فجأة وإن كل له مرجعيته الأيديولوجية التي ينحاز لفكرهــا أو يتبنــى شــعاراتها ، لتبدأ مرحلة بلورة الرؤى والمقولات ، تليهــا مرحلــة الإصــطفاف الــسياسي ، ولتبلــغ ا الذروة الانضمام الى الجماعة الممثلة بمرحلة التنظيم العقائدي .

مقهى الوحدة العربية – الجعيفر ١٩٥٨-١٩٥٩

وهو ماجعل كاتب السطور الذي كان ناصري الهوى منذ عام ١٩٥٦ ، أن يبحث عــن تنظــيم سياسي في دائرة الأحزاب القومية فوجد من خلال زملائه في المدرسة وأصدقائه القدامى فــي الفحامة بأن حىكة القوميين العرب هي الغاية المنشودة التي تلبي طموحه الفكري في حيويــة الأهداف وثورية المنهج ، فكان اللقاء الاول في مقهى الوحدة العربية بعدّايّ علوان الجبــوري المحامي والعضو القيادي في الحركة الذي رأيت فيه مثالا إنسانيا للمناضــل الوحــدوي الــذي يتسم بحميمية مرحة وبقدرعال من الحماسة في العمل وبتهذيب ولياقة في التعامل والــسلوك. وإرتقت العلاقة التنظيمية مع مرور الايام الى رفقة وطيدة وصداقة راسخة ، الى جوار أصدقاء الزمن الجميل من بينهم حيدر الفضلي ، عبدالحسين الربيعي (أبو دية) ، نوري المرســومي ، علي شغاتي ، أحمد المشهداني ، مسلم ، وهاب السامرائي ، وليد خليفــة .. وعــشرات مــن الرفاق والأنداد والمحبين ، وقد أسهمت مقهى الوحدة التي أتخذت في ذلك الوقت مقرا لــشباب

الحركة وللعديد من المثقفين أسهمت في بناء علاقات إنسانية مثالية وصداقات عميقة إحتفظت بحرارتها لعقود من الزمن وإمتد بعضها حتى الان.

الكرخ : شارعا الأمام موسى الكاظم:

الأعمدة ، والجدران تمتلئ بصوّرجمال عبد الناصر.

دشنت إذاعة بغداد هجومها على صوت العرب توالت التعليقات الغليظة .. وأصبح التجريح بالوحدة العربية نشيدا يوميا فى النشرات والبرامج والأغانى .

بغداد تشرين الاول ١٩٥٨

إستحالت المقاومة الشعبية من ظاهرة وطنية لحماية الثورة الى قوة تعرضية، تسعى بقوة السلاح الى بسط نفوذها الامني في المجتمع وبث الخوف في قلوب المواطنين ، بعد أن أصبحت ذراعا عسكريا فوضويا ، ولا أظن أن أحدا ألحق خسارة فادحة بالفكر الماركسي وأساء الى سمعة قوى اليسار الوطني في العراق مثلما فعلت المقاومة الشعبية وكذلك تجربة الشبيبة الديمقراطية ، فقد إنزلقت الى دائرة الإرهاب المنظم بكل مستوياته ، وتورطت قياداتها في أعمال عنف وتصفيات جسدية ضد رفاق الامس وقد جرى ذلك كله تحت سحر السلطة وإغراءات السلاح فإرتكبوا على مدى سنوات الثورة الاولى سلسلة من الجرائم البربرية والآثام المخجلة التي لاتليق بتاريخ الحركة الوطنية . وبالرغم من بعض المراجعات النقدية الشجاعة التي أجراها الشيوعيون على ممارسات رفاقهم الدموية في تلك الفترة ، إلا أن الحزب الحالي بقيادة الرفيق حميد مجيد هو في الاصل يمثل بقايا القبيح الذي جاء إثر العديد من الإنشقاقات الأيديولوجية والسياسية ،والذي بسبب سلوكه الانتهازي أخفق في تقويم خطاياتجربته في ظل الجمهورية الاولى ، وظلت التأويلات التحريفية تلاحقه الى حد مباركته العدوان الامريكي على العراق ودخوله طرفا رئيسيا في التآمر على الوطن ، وإنضمامه الى الاحزاب الموالية للولايات المتحدة ومشاركته في مجلس الحكم الانتقالي الامريكي الذي أنشأه بول بريمر ، ومبايعته وتأييده للتيارات المذهبية الرجعية وتأييده للمشروع الامريكي في التجزئة والتقسيم بدعوى الحرية والفيدرالية والديمقراطية ،

بغداد – شارع الرشيد : ٥-١١-١٩٥٨

جابت تظاهرة نظم صفوفها الحزب الشيوعي شارع الرشيد وهي تردد الأهازيج السياسية المناوئة للعربية المتحدة والتجريح بالرئيس جمال عبد الناصر ، وتطالب الحكومة بإنزال

القصاص بالعقيد عبد السلام عارف ، وإن أية مؤامرة لن تمر بفضل يقظة الشعب والآحـزاب الديمقراطية بوصفها الحارس الأمين للثورة !!!
تظاهرة الرشيد وضعت عصر اليوم حدا فاصلا بين الخندقين القومي والاممي .
من بين الهتافات التعبوية وأكثرها إثارة للمشاعر الوطنية والتي تعد بداية الفـصل ا المأساوي في البلاد :

- (.. خمسة بالشهر ماتوّا البعثية)
- (لاحرية ولاحياة لعبيد العربية المتحدة)
- (الموت لذيول عبدالناصر)
- (.. ماكو مؤامرة تصير ... والحبال موجودة)
- (.. ماكو مؤامرة تصير ...(عبارة جارحة)
- (.. يسقط جمال ، عفلق ، الحوراني)
- هكذا حدد معدو التظاهرة أهداف فصل العنف الجديد :

١- المؤامرة بسبب عودة عبد السلام عارف مـن المانيـا دون إذن مـن وزارة الخارجية أو موافقة رئيس الوزراء ، ومحاولته إغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم.
٢- الإعلان الصريح في إعتبار البعث والقوى القومية الاخـرى هـدفا للتـصفية والإقتلاع من ساحة العمل السياسي . بعد أن جرى تـصنيفها فـي خانـة أعـداء الشعب .
٣- التأكيد الفض على العنف والحث التعبوي على قتل المنـاوئين أو المعارضـة بطريقة السحل (الحبال) إحدى الوسائل المبتكرة التي جربها الفوضويون صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ في سحل بعض مسؤولي النظام الملكي في شـوارع العاصـمة على نحو وحشي لم يسبق له مثيل في تاريخ العراق . وستصبح هـذه الطريقـة الغارقة في الاجرام تقليدا متبعا منذ تظاهرة شارع الرشـيد التـي أذنـت للرعـاع والدهماء باللجوء اليها ، وسوف تنبؤنا الايام اللاحقة بتطبيق هذا الفـن البربـري الرفيع في واقعات دموية شملت عموم البلاد ومن أحط نماذجها مجـازر الموصـل وكركوك عام ١٩٥٩ .

ثانوية الكرخ – الرابعة والنصف بعد الظهر يوم ١٩٥٩/٣/١٥ .

أما بعد

اللحظة الحرجة ، كما الزاوية الميتة تنعدم فيها الرؤية تماماً ، فتنحل الممكنات ، ويبدو المستحيل هو جوهر الواقع ضج رأسي بجملة متشابكة من المتقابلات الإقدام والتردد . الشجاعه والخوف .

ما من سبيل للإفلات من قبضة الغضب الأعمى وجنون الإرتياب، أحسست بأنى مطوق من الرأس الى القدم ، وإن موتا بليدا يترصدني ، فالعيون تقدح شراً وشرراً ..والسواعد متوترة ، والقبضات الحديدية مدججة ..التهديد والوعيد يتواصلان سيل الشتائم والسباب . وشعارات (الموت) . تملأ أجواء القاعة .

ترى من الذى حرّك كل هذه الميول العدوانية ، فأيقظ الغرائز الهابطة ؟!

بأي إسلوب وبأى منطق يمكن مواجهة اللاعقل ؟!

بدأ العالم في تلك اللحظة رقعة من نار تستعر في الانفاس والنظرات .

(العبث) هو التعبير الوحيد عن الواقع عن عن موقف خارج حدود التصور والإحتمال والتمثل والإستيعاب ..

فالإملاء والقهر . والقوة الطائشة وجنون الإهتياج . فالإنفلات .. تفضى كلها الى جبرية مرّة لا راد لنتائجها ولا ادرى إنْ كنت إنتزعت الخوف من قلبى أم أن الخوف إنتزعنى . فأزحت الورقة وهتفت : لن اوقع على شئ لا صلة لي به . كان الإمتناع عن وضع إسمي على ديباجة البراءة من (مؤامرة الشواف) !! كما أسماها القاسميون القشة التي قصمت ظهر البعير، وكانت سببا كافيا لإنزال الموت بالمخالفين ممن يتمسكون بمواقفهم والتي تعني وطبقا لوثيقة تأييد السلطة إعلان البراءة من الفكر القومي والكفر بالوحدة العربية وإتهام الرئيس جمال عبد الناصر بالتآمر على العراق، إنهال على الشقاة ضرباً مبرحاً . توالت على رأسى وجسدى القبضات ، العصى الهراوات ، فأسالت دمى ، حاولت الافلات من غابة الدم . دونما جدوى .

أعادوا طقس الإيذاء ، فتضاعف الوجع واشتد الايلام . وتدفق الدم ،

- (لاتدعوه يفلت) ؟!!
- هكذا إنفجر صوت عبد الرحمن صارخا

فأزدادوا عنفاً وجنوناً

حمل عبدالرحمن رمح حديدياً وهو يحاول أن يغرزه فى صدرى فأمسكت طرف الـــرمح بكل قوة ، أدفع به ، بعد أن كاد ينفذ فى لحمى .

نهض (احمد خلف) ، إفتض الغابة المجنونة ، يضرب هذا ويدفع ذاك همس فى إذنـــى : إهرب مددت بصرى صوب الباب فوجدته مشرعاً فإنسللت من بين الأيـــدي والأقـــدام ، وعدوت الى حجرة الادارة فوجدتها مغلقة ، فاتجهت الى حجرة المدرسين ، فإقتحمتهـــا وإصطفقت الباب صاخبا محتجا ، فُزع القومُ وأذهلتهم صدمة التلميذ الهائج ، الغـــارق بالدم ، هبّ المدرس كاظم مذعورا وإتجه نحوي يسألنى ؟!

ما الأمر ؟

من فعل هذا ؟!

ولماذا؟!

رددت على أسئلته بصوت غاضب :

إسأل الإدارة

أهذه مدرسة ؟!

أم مأوى للشقاوات ؟!

.. إنتبهت الى نفسى ، حاولت السيطرة على إنفعالاتى غضبى وغيضى ربـــت الأســـتاذ كاظم على كتفى ، .. وبدأ يضمد جرحى النازف وهو يحاول تخفيـــف وطـــأة إحـــساسي بالظلم .

ولج المعاون الأستاذ حسن موسى على عجل الحجرة لا هث الأنفاس ، غاضـــباً وهـــو يتوعد الجناة ، بأن مثل الإعتداء لن يمر دون عقاب فلابد من مساءلة الجنـــاة ، حـــاول هو الأخر تهوين الأمر علي ، وهو يؤكد بأن أيا من هؤلاء لـــن يفلـــت مـــن العقـــاب ، والتفت الى المدرسين طالباً منهم عقد مجلسهم فوراً .

سألنى المعاون أمام المجلس :

هل بوسعك إخبارانا عن أسماء الذين اعتدوا عليك ؟!

أجبت : بأنى لا أعرف إلا واحداً منهم وهو الطالب عبدالرحمن (ق) .إنقسم المجلـــس على نفسه الى فريقين ..

الأول : يطالب معاقبة المعتدين ، وتوجيه عقوبة الطرد للمتببين فـــى حـــادث الإعتـــداء يموجب اللوائح المدرسية .

أما الفريق الثانى : فقد ألقى باللائمة عليّ ، بدعوى المشاغبة وإقترحوا فصلي من المدرسة . عند هذا الحد خرجت من صمتي وأنا أشعر بظلم متعمد ينزل علي كماالصاعقة فيملئ نفسي غيضا وغضبا ،

لذلك لم أتمالك نفسي وأنا أجلس كما المتهم أمام المجلس، ووجهت كلامي الى الأستاذ صبيح (ع) – الذى يقود المحور الثانى ، قائلاً : ألا تكفى هذه الدماء ، وهذا الجرح النازف دليلاً على انى تعرضت للإيذاء ؟!، وان الذين هاجمونى واعتدوا علي بالضرب يزيد عددهم على عشرة طلاب ؟!..

قاطعنى المدرس (ح) صارخاً فى وجهى ، انت المتسبب فى هذه الفوضى ، لماذا امتنعت عن توقيع ورقة إستنكار مؤامرة الشواف ؟!

إلتفت اليه قائلا : (إنك ياأستاذي الموقر تزيد الظلم ظلماً ، لأنك تساند المعتدي وتتخلى عن المعتدي عليه "؟!

وعن أية مؤامرة تتحدث ، وما شأني بها ؟!

إحتدمت خلافات أعضاء المجلس واصطخبت السجالات المعاون من جهته يحاول تهددئة الخواطر وتلييّن المواقف دونما جدوى ، إنسل الأستاذ (ح) من الحجرة وعاد ثانية يصطحب معه احد الجناة وقد اصيب فى وجهه جراء لكمة سددها اليه أحمد خلف الذى فرّ خارج المدرسة من خلال النافذة المفتوحة على باحة جامع القمرية .

صاح المدرس (ح) موجها كلامه للمجلس أنظروا ماذا فعل هذا الطالب الذى يزعم بأنه لم يرفع يده على أحد ...

وأومأ بيده نحوى : قل لنا من الذى أحدث هذه الكدمات فى وجه هذا الطالب ؟!

إنْ لم تكن أنت ، فلابد أن أبى هو الذى إعتدى عليه ؟!

تعالت الأصوات وتحول الخلاف فى الرأى الى ما يشبه المصارعة بالاقوال .. المعركة حامية الوطيس انتقلت عدواها من الطلبة الى المدرسين أنفسهم ..

إصطحبنى المعاون الى حجرة مجاورة قائلاً : (إنه يسعى بكل جهده الى التسوية وعليّ التسليم بالطريقة التي تصل بنا الى أخف الضررين ، لأن البعض يحاول الابتزاز بإتهامك التطاول على الحكومة وقادتها .. المهم الآن ندبر أمر خروجك سالماً من المدرسة ، فقد علمت بأن الجناة يسعون الآن لتأليب بعض الناس للنيل منك

شعرت بالخوف .
وعندما حاولت إعادة شرح الوقائع ، ربت على كتفي برفق ، قائلاً : اعلم تماماً بأنك مظلوم ، وانى مقتنع تماماً ، ولكن ماذا بوسعنا ان نعمل ؟!
الأمر الأكثر أهمية الآن هو أن نقطع الطريق على الذين يكيدون لك .
عاد بى المعاون الى الأجتماع وطلب منى كتابة تقرير عن الحادث .
أتيت على ذكر الوقائع كما حدثت دون زيادة أو نقصان .
وعندما نودي على عبدالرحمن (ق) لأخذ أقواله لم يأت ، فأرسل المعاون الفراش فى طلبه والبحث عنه ، وبعد مرور حوالى عشر دقائق عاد الفراش الى المجلس ليقول : عبدالرحمن غادر المدرسة .
فهتف المعاون : يعنى هرب .
وغالب الظن ان المعاون الأستاذ حسن موسى كان يريد من وراء هذه العبارة توفير مبرر كاف وإشعار المجلس بتقصير الطالب عبدالرحمن .
غادرت حجرة المدرسين بناء على أمر المجلس ريثما تتم المداولة ويتخذ القرار.
خلال ساعة من الترقب والإنتظار شعرت بأن الخوف بدأ يتحول الى قلق نفسي ممض وهواجس متضاربة .. وكأنى أفيق من وطأة المشكلة أول مرة وأنا أفكر بمصير دراستى ومستقبلى أطل المعاون هاشاً باشاً ، تملأ الإبتسامة وجهه ، وتقدم مني هامسا:
لا تبتئس إننا حاولنا لملمة المشكلة ، بأقل ما يمكن من الخسائر .. فقد قرر المجلس بالتكافؤ فصلك لمدة إسبوعين من المدرسة وقد نال عبدالرحمن نفس العقوبة ، لم أجد مناصاً من قبول النتيجة على مرارتها وعلى الرغم من الإيلام النفسي ، أبديت إمتنانى للأستاذ حسن موسى على كل ما بذله من أجلى .
إقتحم الفراش الحجرة مضطرباً وهو يصرخ : (إلحق أستاذ حسن ، تظاهرة تطوق المدرسة يحاولون تحطيم الباب ، حاملين قامات وعصي ويقذفون الزجاج بالحجارة).. شحب وتقلص وجه المعاون فنهض هلعاً .. فيما أصابني الرعب ، فشعريرة إمتصت دمائي وقفت مذهولاً . أشار المعاون بأيماءه آمرة أكدها بقوله : أمكث حيث أنت وإياك مغادرة مكانك . إشتد بي الخوف لم أعد أطق الإنتظار وبدلا من الإستسلام لخطر داهم يحيق بي قررت تدبر الامر بالبحث عن مخرج أنفذمنه خارج المدرسة وقبيل مغادرتي

القيت بصري من وراء ستارة النافذة المطلة على الشارع ، هالني ما رأيت ، تظـــاهرة كثيفة ، الأيدى تلوح بالقامات والعصى والحبال .. وأيد آخرى تهز الباب الحديدية ، هزاً عنيفاً .. أصوات مبحوحة ، وشعارات مرفوعه . عاد المعـــاون مـــذعوراً ، مرتجفـــاً ، تتعثر خطواته بكلماته : وهو يتحدث مع المدرس كاظم (دبرنى ماذا أفعل .. المدرســـة محاصرة والقادمون مسلحون يطالبون الإدارة بتسليم الطالب وأشار اليّ ..

قال الأستاذ كاظم : لابد أن نجد طريقة آمنة ، لإنقـــاذه ، والا فـــسوف يمزقونـــه حـــال خروجه

قال المعاون : الطريقة الوحيدة هى الإتصال بمركز الشرطة ليكفوا المتظاهرين ، ومـــن ثم نؤمن خروجه ، أو تدبير أمر هربه .. تحمس كاظم للفكرة وحثه على الإتصال فـــوراً بمركز الشرطة هاتفياً .

بادر المعاون الطرف الآخر على الخط الهاتفى : (.. إن الموقف فى غايـــة الخطـــورة ، يتطلب إجراءاً عاجلاً ، لأن كارثة وشيكة الوقوع ، وان موتاً محققاً ســـيحدث ، ولـــذلك فإن إرسال قوة قادرة على الحماية هى الحال الوحيد لإنقاذ حياة التلميذ..) .

الزمن عذاب مستطير ، والإنتظار الطويل يضغط المسافة الضيقة بين الحياة والمـــوت ، فالأيدى تحاول إقتلاع الأبواب ، والحناجر لا تكف عن الصراخ .. يتعالى الصراخ :

الدم ، الموت ، الإعدام، . تتوالى الأصوات كهدير مجنون ، ينذر بـــ الفجيعة . كـــادت روحى تبلغ الحلقوم فى عذاب الإنتظار لولا أن هتف الفراش فرحاً : أستاذ حسن وصلت الشرطة" ؟!

وهكذا عقب مرور ربع ساعه فقط على المكالمة الهاتفية إنحدر رجـــل مـــدنى (اصـــفر الوجه) نحيلاً طويلاً ، ذا شعر أسود يرتدى سروالاً أزرق وسترة ترابية رثـــة . قـــدم نفسه للمعاون :"أنا المفوض جمعة جئت لتأمين سلامة الطالب ونقله الى داره بـــصحبتى سيارتان وستة أفراد من الشرطة .

إختلطت مشاعرى بين قلق الخوف والأمان النسبى .. شكر المعاون ســـرعه إســـتجابة المركز مشيداً بـــ (شهامة) المفوض .

خرجت من الحجرة الى جوار (جمعة) وقد وضع يده على (مسدسه) على نحـــو ظـــاهر ومقصود ، وعند باب المدرسة أحاط بى الشرطة المسلحون ، إغتاظ الحـــشد ومـــاج ، وهم يلوحون بالعصى والقامات وثمة حبال ممدودة .. دفعني المفوض دفعة قوية داخـــل

العربة التى كانت عند باب المدرسة وركب الشرطة الأخرون عربة أخرى . وانطلقتـت العربتان تطويان الشارع بسرعه فائقة .لم أكد أسترد أنفاسى ، حتى فوجئـت بالعربـة تتوقف أمام مركز شرطة الجعيفر .. وبنبرة آمرة أمسك بي جمعة قائلا: إنزل (لك) !!!
تجاهلت فظاظته ، وأجبته : بوسعى أن أذهب الى البيت من هنا .؟!
فاستدار بغضب ولطمنى على وجهي ، وهو يصيح بأعلى صوته (إنزل بابن الكلـب إذا اعتقدت بأنك نجوت ، فأنت تحلم ، ستودع الموقف وسنحيلك الى القاضى) !!
قبل أن نلج باب المركز ، مدّ يدّه يفتش فى جيوبي ، وهو يتوعدنى شراً وإلـتقط مـن جيبي ثلاثة أرباع الدينار ، كنت سأدفعها للخياط ناجي الدفاعي كمقدمة لتفصيل سـروال عيد الفطر . دفعنى بقوة فتعثرت على درجات العتبة ، أدخلنى حجرة تقع علـى جهـة المركز اليسرى فوجئت برجلين :
الأول : مفوض ممتلئ الجسم صخم الرأس ، أحمر الوجه ذا شعر أشـقر وعينـين زرقـاوين فيهما احمرار يجلس قبالته رجل مدني ، نهض الرجل الأشقر من مقعـده ذى الحـشية المتآكلة ، أمطرنى بسيل من الشتائم ، وكأنه معبأ ضدي سـلفاً ، أخـذتنى المفاجـأة ، شعرت بالذهول والإحباط .
إسمك : فلان ابن فلان ..
المفوض : هل يعقل أن تكون إبن فلان ، الذى أعرفه ؟ أن أباك رجل طيب مسالم ، فمن أيـن ورثت خصالك الذميمة ؟! حاولت كتمان غيضي ، إلا إنى لم أسـتطع تجاهـل الإهانـة فرفعت صوتى محتجاً : أرجوك أنا لم أرتكب جرماً أستحق عليه مثل هذه الإهانة ،..)
ولم أكد أكمل كلامى حتى إنتفضّ عاصفاً كما لو أن نوبة من جنون أصـابته ، فأنهـال على ضرباً ، وهو يصرخ : (لك وينكم) !!
تدفق أفراد الشرطة كما الكتلة الصلبة فيما وقف الكاتب فى حالة إستعداد لا يـدرى مـا يفعل وكيف يتصرف (سيدى صحتك) !!
المفوض : هيا تكلم أيها المجرم ؟!
إستشضت غضباً : (لك أن تفعل ما تريد وأن تعذبنى إن شئت ، ولكنى لست مجرمـاً ، وأنا مستعد أن أجيبك على كل الأسئلة ، أما الآن ، فسوف التزم الصمت التـام . لأنـى أشعر بأنك تحاول النيل مني وإهانتى ، دون أن تـسمع أقـوالي، أو تمنحنـى فرصـة

توضيح الوقائع ، بل إن كل شئ فى هذا المركز إنقلب ضدى رأساً على عقب . وكنت أظن أن الشرطة ستنصفنى) ؟!

قال متبرماً هازئاً : كيف ..هل تريد أن تعلمني عملي ؟!

قلت :الإنصاف أن تبعث بى الى المستشفى لفحص مدى ما أصابنى من جروح وإيذاء وعندها تبحثون عن الجناة الذين لازالوا يلوذون بالفرار . حين إصطحبنى المفوض جمعه من المدرسة كان قد تعهد أمام الإدارة ، بأنه مكلف بإيصالي الى البيت ، وضمان سلامتي من تهديد المتظاهرين الذين جمع شتاتهم وجاء بهم الجناة أنفسهم ، وبدلاً من تحقيق العدل ، ومطاردة الهاربين ، وإسعافي ، أصبحت فى رأيكم مجرماً ، فأى جناية إرتكبتها ؟!

قال: (إن الذى جرى لك ، هو أمر طبيعى ، بل كان يفترض أن يكون أشد من ذلك ، لأن معاقبتك من قبل زملائك الطلبة ، كانت نتيجة رد فعل لما أحدثته أنت ، فماذا كنت تنتظر وانت تهتف بأعلى صوتك فى الصف وبين طلاب المدرسة : بسقوط سيادة الزعيم ؟!

قلت : هذه تهمة أنا برئ منها ، ومحض إدعاء ، وقد إفترى بها علي الجناة لتبرير إعتدائهم ، وأؤكد لك بأن مثل هذه التهمة غير صحيحة بالمرة .

وتواصلت الاسئلة :

- إذا كان إدعاؤك صحيحا ، لماذا إذن لم تعلن تأييدك لسيادة الزعيم في القضاء على المؤامرة ؟!
- أنت بعثي ؟! أريد إسم مسؤولك وأين يقيم ؟!
- موضوع التوقيع ليس إلا ذريعة للاعتداء وتصفية الخصوم ، وإن شتم الحكومة والتعرض للزعيم أصبحت تهمة جاهزة على لسانهم لإرهاب الناس أو يلصقونها بكل من يخالفهم الرأي ، الأمر الآخر فأنا لست حزبيا ، وغير منتم لأي تنظيم سياسي .

قال المفوض معقباً : (نحن نعرف كل شئ عنك ، فلا تلف أو تدور ، عليك أن تكف عن الإنكار ، وإعترف بما قلت وفعلت .. وسأدعك تذهب الآن الى بيتكم) .

أجبت : ليس لدى ما أخفيه غير الذى قلته .

المفوض : (يعنى تصر على الإنكار، وترفض أن تعترف ، يبدو أنك تريد أن تتعبنا).

قلت : أرجو أن تسأل أياً من زملائى فى المدرسة الذين شهدوا حادثة الإعتــداء علــى ، فأنا (المجنى عليه) ، فكيف أتحول الى متهم ، والجناة طليقوا السراح ؟!
رد بعصبية : "أنت متهم على وفق المادة (؟) ونظر الى الكاتب الذى لم يتوقف قلمه عــن التحرير ..
صاح المفوض الأشقر : شرطة ، خذوه وأنزلوه السرداب !
إقتادنى رئيس عرفاء الى نفق تحت سطح الأرض ، أشبه بدهليز ، إفتض باباً موصداً ، دلفت الى السرداب الرطب ، تفوح منه رائحة عفنة ، غاصت قدماى فى المياه الآسنة .
الحبس هو التجربة الأولى ، جدران صم . فراغ موحش ، باب موصد ، الــصمت لغــة أخرى ، توقظ الأفكار وتثير الهواجس . لا أحد من أهلي يعلــم مــا جــرى ويجــرى ، تفاصيل النهار واوجاع الظلم .
الظلمة بدأت تطبق على المكان كله .
ترى ما هى الخطوة الثانية ؟!
الزمان يكاد يتلاشى ، فيتضاعف الإحساس بالمكان الرطب ..
الى أى مدى أظل واقفاً على قدمى الغائصتين فى البحيرة الراكدة ؟! ،
إنسلّتْ فجأة خيوط ضوء باهتة ، عبر كوة علوية .. أوقد المركز مــصباح الباحــة .. يرتد البصر حسيرا يصطدم بالجدران الصم ، ليس ثمة من حافة جافــة أريــح عليهــا جسدى المتعب ، أو اريح قدميّ المتصلبتين . .. أستطيع الآن أن أتبين من ثقب الكــوة ظلالاً أتيات ورائحات فى حدود باحة المركز ، أصخت السمع إثر جلجلة طارئة ، وقــع اقدام تدك الأرض .
إنفتح باب السرداب الحديدية الصدئة ، ذات الصرير المجلجل .. تلقفت صوتاً كأنــه آت من بعيد .
– هل انت صائم ؟!
قلت أنا ؟!
قال رئيس العرفاء : ومن غيرك هنا !
أجبت : لا . (علمت أن الوقت هو المغرب)
بادرني الرجل : هل تعرف أحداً قريباً أو صديقاً فى المنطقة ؟

قلت بلى : إلتمست منه أن يرسل أحداً الى صديق لى أسمه (شاكر محمود) أو الى (خالد علوان) . وهما ليسا بعيدين عن هنا . فالأول يسكن فى الزقاق المقابل للمركز .
قال : سنبعث اليه برسولاً منا .
.. عقب مرور ربع ساعه أو تزيد قليلاً ، أخرجت من السرداب وأنا فى حال يرثى لها ، خف اليّ شاكر وعانقنى عناقاً حاراً ، حاول تهوين الأمر وهـو يهمـس فـى أذنـى ، (السجن للرجال) ؟!
رجوته أن يشعر أهلى ويطمئنهم . ويأتينى بفراش حسب نصيحة رئيس العرفاء .
لم يغب شاكر طويلا حين عاد ثانية وهو يصطحب معه (الشيخ كرّم) الذى شد على يدي مشجعاً ؟! ولم ينس شاكر أن يحمل معه صينيه طعام عامرة بمائدة رمضان الـوفيرة ، التى إستقبلت من لدن الشرطة بأجلال وتوقير ، جلست والشرطة حول مائدة واحدة .
طلب الشيخ كرم من شاكر أن يعجل فى الذهاب الى أهلي ، أما هو فسيبقى فى المقهـى المجاور يتابع (موضوعي) . علمت من الشيخ بأن خالد علوان قد أعتقل يـوم أمـس ، واقتيد الى التحقيقات الجنائية .
فى حوالى التاسعة مساء ، وصل أبي وأمي رفقة شاكر وقد فزع الأثنان لـسوء حـالي فأجهشت أمى فى البكاء ، فيما حاول أبي أن يتماسك وهو يداري دموعـه ، ودس فـى جيبى (دينارين) وتحدث مع رئيس العرفاء متوسلاً اليه أن يكون رحيماً بى ، وان يكفوا أيديهم عني .
قال رئيس العرفاء : إن الجرح وآثار الدماء والثياب الممزقة حدثت كلها خارج المركـز ونحن لم نقربه ولم يتعرض لأى إيذاء من جهتنا . إستبدلت ملابسي بـ (دشداشة) .
العاشرة مساء : أبوايّ ينتظران فى باب المركز قرار الحاكم ،
العاشرة والنصف مساء : بلغت بقرار حاكم التحقيق الذي يقضي : إيداعى التوقيـف ، وفق مادة قانونية (؟) عقوبتها السجن من ثلاث الى خمس سنوات .. وإكتشفت لاحقـاً بأنها المادة شائعة أحيل بموجبها غالبية المودعين والمحتجزين الذين تغص بهم مراكز الشرطة والسجون والمعتقلات .
الحادية عشر مساء : قرر مركز شرطة الجعيفر نقلي الى مركز شرطة سوق الجديـد . لعدم وجود (موقف) فى الأول .

أحكمت القيود فى معصمى ، واصطحبنى شرطيان مشياً على الأقدام لعدم وجود وسيلة نقل فى هذا الموقت المتأخر من الليل ، فقطعنا نحن الثلاثة ، أزقة التكارتة ونفذنا منها الى سواق حماده ، .. وإجتزنا الزقاق المفضى الى الشيخ على ، حيث يقع مسجد إسماعيل كيتخدا الذى تعلمت فى رحابه لسنوات طويلة على يّد (الملا حماد) قراءة القرآن الكريم .

مركز شرطة سوق الجديد : منتصف الليل ١٥-٣-١٩٥٩

جئنا مركز سوق الجديد ، وحشرت فى (الموقف) حشراً ... المحتجزين متراصون قياماً وقعوداً لن تجد مكاناً يتسع لقدميك ، عليك أن ترفع واحدة ، وتقف منتصباً كالرمح ، مصلوباً على القدم الأخرى .

الدخان وروائح نافذة شتى ، الأجساد ، الأرجل المهترئة ، والمياه الثقيلة .. الجميع هنا متساوون .. السياسى ، القاتل ، السكير ، المعتوه ، رجال هرمون ، شباب ، فتية ..

ثمه من يرقب ظلاً ، متأملاً .. رجل عجوز يمتص عقب سيجارة لم يعد منها غير الرماد وأخر يبحث فى جيب دشداشته عن كبريت ، هذا يغنى مقاماً لألون له ، يقلد صوت يوسف عمر وذاك يدندن بانغام أغنية لأم كلثوم .

رجل فى العقد الثالث يمسك ملقاطاً ينتف أطراف لحيته ، ثلاثة يتصايحون حول الشأن السياسى القائم . مجموعه أخرى تثرثر لم تنقطع أحاديثها .. رجل فى الخمسين يقف الى جوارى (نائماً) . الثلاثة السياسيون المتصايحون بداوا يرددون لازمة (أروح لمين) !

رحب بى ثلاثة أشقاء (أولاد هدن) ، أوجدوا لى مكاناً على الأرض ، لملمت نفسى ، واختزلت جسدى ، منكمشاً ، جلست القرفصاء متأوهاً من حشر الأجساد وإكتظاظ الاقدام ، لم أعد أرى إلا ظلاماً فقد انحجب الضوء الهزيل الذى بثه مصباح صغير ..

أمتدت يد كريمة وهى تفتض غابة الأرجل :

- تفضل كل .

واذ بلغة طعام ، فاعتذرت دون أن ابتلف قسمات وجه الرجل .

أخر قدم سيجارة ..

اقترب منى أحدهم وسألنى : ما هى تهمتك ؟!

أجبته : المادة (؟)

فضحك مقهقهاً ، أغاضتنى سماجته ، إنتبه الى نفسه أو لعله شعر بـــذلك ، فحــاول أن يعتذر بلباقة ، قائلاً : لا تهتم فكلنا فى الهوا سوا ؟!

إذن لا مفر ، فأول شروط الإقامة فى هذا القفص الأدمي هو القدرة علـــى التحمـــل ثـــم التكيف .

١٦ /١٩٥٩/٣

الساعه الثالثة صباحاً .

صحوت من غفوة قصيرة . لم يعد بوسعى معاودة النوم ، أو حتى محاولة الأسترخاء ، فالأصوات الغريبة تنبث فى كل أرجاء الحجرة ، أنواعاً لم أعهدها من الشخير ، متفاوتة النغمات منها : الهدير ، الخرير والصفير ، وأخرى : كالعويـــل ، وثالثـــة نموذجيـــة ، متعددة الأبعاء فهما : الزفير ، الصفير ، والفحيح .

الخدر يشلّ الأطراف ، جراء طي ساقى . ليس من عقدة واحده متاحة ، أمام أو حـــداب العقل والجسد ، وكأنى منحشر في ثقب إبرة حاولت إلقاء رأسى الـــى الجـــدار ليخـــفّ الضغط على عنقي ، ولا أدرى كيف أتانى النوم ؟!

وهل نمت حقاً ؟!

السابعه صباحاً

إستيقظ (الموقف) مبكراً .. الصباح هنا من أجمل عطايا الطبيعة ، كان النهار بهيا فـــى هذه البقعة من كوكب الأرض ، والشمس وضيئة حانية ، المحتجزون ينسربون تباعـــاً حاملي قيودهم ، الى دورة المياه ، واحداً أثر آخر . ثمة يعودون فرحين ، وقد أزاحـــوا عن كاهلهم أحمالاً ثقيلة .. يسترخون من عناء الليل الطويل .. يتثابئون .

مددت ساقيّ ، أفردتهما ، جربت الراحة الجسدية نسبياً ، وحظيت بغفوة طارئة ، أزالت عني متاعب السهد والزحام .. بسطت سفرة الطعام وقليل منـــا صـــائمون . يـــدخنون بشراهة . فالسيجارة هنا ، هى المتعة الأثيرة .عقب إنقضاء الضحى ، توافـــد لزيـــارتي الأهل والأصدقاء ، أبى وأمى وأخى سعد ، والعم أمـــين ، وأولاد عمـــى عبـــدالجبار ، مهدى ، وصبحى ، سمح لى مأمور المركز أن أجالسهم فى ركن مـــن باحـــة المركـــز لساعة كاملة ، وعند الظهيرة أطل خالي عبود ، فرحت بمقدمه ، تحدثت اليه مـــن وراء القضبان .

قال : إطلعت على أوراق الإحالة لدى مأمور المركز ، كنت آمل الى إطلاق سراحك بكفالة ، ولكن يبدو أن لا مجال لذلك طبقاً لمادة الإحالة ، لحين النظر فيها من قبل المحكمة .؟

حمل الي شاكر محمود(سفرطاً ساً) مليئاً بالطعام ، بعثت به أمي ، وصل قبيل موعد الإفطار بدقائق .. تناولنا والصائمون وجبه العشاء وإنضم إلينا أفراد الشرطة ..

أول الليل .

جائنى الأصدقاء :

حيدر الفضلي ، عبدالحسين الربيعي ، الشيخ كرّم ، كريم أيوب ، وليد خليفة ،

توافدت على المركز شلة أخرى من الموقوفين ممن أحيلوا على وفق المادة ذاتها التى أحلت بموجبها اكتظ الموقف كما الليلة الفائتة ولكن بعدد إضافى ، تحتم علينا الوقوف قياماً على القدمين ، بين الثرثرة والغناء ، والضيق والقنوط ، يعز عليّ إلتقاط أنفاسى إلا بعناء شديد ، لإنعدام الهواء ، ولولا تلك القضبان لهلك الجميع .

أخرة الليل .

الصائمون منشغلون بإعداد (السحور) ، سمح لهم بتناول الطعام فى حوش المركز ، فأفاءوا علينا بسعة من المكان ، فتنفسنا الى حين الصعداء .

حوار بين رجلين ، لم يكفا عن المناقشة منذ البارحة ، أحدهما يسأل صاحبه ترى الحرية أم الخبز أيهما يحظى بالأولوية ، فى النضال والحياة ؟!

أجابه الثانى : متمنطقاً : إنى أرد إليك سؤالك ، هل تعنى أن الإنسان يستطيع أن يحيا بواحدة ويتخلى عن الأخرى ؟!

وهل بوسعنا أن نعيش أحراراً ويهلكنا الجوع ؟!

فالخبز يجب أن يحصل عليه المواطنون كافة ، هكذا تفترض الطبيعه وتقول الأديان ، وتتحدث القوانين .. أما الحرية فشئ أخر ، ففى كل الأزمان والأوطان ، لا تنال مجاناً ، ولا تمنح لعابر سبيل فى الدنيا ، ولا يتصدق بها السلطان على مواطنيه .. حتى ذوى العرش الملكي ، أدركوا هذه الحقيقة من فرط بداهتها ، إذ ينسب للملك فيصل الأول أنه قال يوماً "أن الحرية تؤخذ ولا تعطي "؟!

ماذا تقول : .. لم يجب ، فقد نام ، وأخذ منه الشخير العنان .

فررت بذاكرتى أستعرض الذى جرى ويجرى منذ تلك اللحظة الغارقة بالعنف ، والظلـم الذى لحق بى ، وأنا أتساءل بعذاب ، ترى ما الذى جعل عبـدالرحمن ، الزميـل الـذى عرفته منذ أكثر من ثلاث سنوات ، يلجأ الى مثل هذا السلوك المريع ؟! .. لا أذكر مرة واحدة إنى أختلفت معه أو أغضبته فى مناقشة أو حوار ، وكيف يمكن تفسير عدوانيته الجامحة على إيذائى ، فيصر على معاودتها فى اليوم التالى ، فيلاحقنى برفقـة بعـض مريديه وأنصاره الى المركز ، لولا أن كفت الشرطة أيديهم ؟!

تتوالى الأسئلة ، تلاحقنى أو ألاحقها ؟!

مركز شرطة سوق الجديد . ١٩٥٩/٣/١٧ .

فى وقت مبكر من صباح اليوم هتف الشرطي علي بإسمى ، طالباً منى تهيئـة حاجـاتى على الفور ، صفق المحتجزون ، وكل منهم يشد على يدى أو يربت على كتفى ، وأنـا أتساءل هل يعقل أن يفرج عنى بهذه السهولة ؟! وحسم الشرطى الظنـون والتمنيـات بتوضيحات ضافية : لقد حول مأمور المركز أوراقك الى دائرة التحقيقات الجنائيـة فـى شارع النهر حيث ستودع هناك ! وجم الجميع ولاذ الموقف بالصمت أسفاً أو إشفاقاً .

- إستوضحت متوجساً عما وراء هذا الإجراء المباغت ؟!

- أجاب : ها أنت ترى بأن الموقف ضاق بالوافدين إليه ولم يعد فيه موطأ لقدم . فصدر قرار توزيع المحتجزين على عدد من المراكز ودوائر وزارة الداخلية .

الساعه العاشرة والنصف صباحاً .

أول الإجراءات ، أدخلت يدى فى (الكلبجة) وأنا أحمل أمتعتى ، يـصحبنى شـرطيان ، أحدهما يحمل بندقية .

وقفنا على ناصية الرصيف ، ننتظر عربة أجرة .. طالت وقفتنا ، تعذر وجود تاكسى فى الشارع تمشينا قليلاً ، ثمة قافلة من عربات (الربل) تقف بإنتظام علـى إمتـداد سـور مقبرة الشيخ معروف الكرخى ، إنحشرنا نحن الثلاثة على الأريكة الخلفية تحت المظلـة (التنتة) ، ومضينا الى (الأزرملى) ومن هناك دلفنا الى محلة الـشواكة ترجلنـا مـن (الربل)، إنحدرنا صوب النهر من الطريق المحاذي لمطعم (مهدي الكبابجي) ، أحاط بنـا بعض الناس ، يتسقطون من الشرطييّن خبر السجين !

صاح الشرطى المدجج بالسلاح :

(هيا تفرقوا ، ألم تروّا حرامياً من قبل) ؟!
مط أحدهم شفتيه ومضى ، وتمتم أخر .. وأنسرب الجميع من حولنـــا . نظــرت الـــى الشرطى نظرة إمتنان فقد علمته الخبرة اليومية على ما يبدو ، بأن أحداً من الناس لـــم يعد يهتم لــ (سارق) أو (قاتل) أو (طريد) .
تحولت جدران الأزقة وواجهات المحال والشوارع الى معرض تشكيلى لفــن (الكــولاج) السياسى . ذهلت وأنا أشهد عقب مرور يومين فقط على إحتجازى بانورامــا صـــاخبة بالصور المشوهة والتعليقات السمجة ، لم تكن موجودة قبل ثمانى وأربعين ســاعة . . الى جوار الملصقات الترقيعية ذات الحجوم الكبيرة والصغيرة والألوان المبهــرة ، ثمـــة دمية بحجم إنسان جرى تعليقها بحبل من إحدى شرفات البيوت دلالة على تنفيــذ حكــم الإعدام شنقاً .. الدمية منغمرة بصبغة حمراء ، كما لو كانت دماء حقيقية . علقت على صدرهـــا عبارة : (الموت مصير البعثيين) ؟!.
جدارية إتبع فيها إسلوب (الكولاج) أيضا ، تظهر جسد راقصة شرقية شــبه عاريـــة ، إستبدل رأسها ، برأس جمال عبدالناصر . عشرات الملصقات .. وعشرات التعليقات .
وأنى يممت وجهك ستجد شعاراً يعقبه شعار تلتقى كلها حول موضوع واحد هو :
– الموت . – السحل . – القتل .
وكأنى أطوف بمدينة أخرى غير مدينتنا وتساءلت جزعا، عن سر هذه الفوضى ، البلد يقبل على منزلق خطير ، قد يأخذ في طريقه كل شئ ، وعندها لن يكون أي مواطن في منجاة من عواقبه ؟! وهذه مقدماته التي تفصح بأن سلطة الشارع تقود إنقلابا لـــصالح فئة سياسية بعينها ، والمشهد الماثل (اللاسياسى) العجيب ؟! وتلك المفاهيم والمدركات التى تدعو الى انهاء الحياة ، وتحرض الناس على القتل ، وكأنها تبشر بعصر ظلامـــى مطبق ، ليس فيه الا الدم ؟!
ترى هل بوسع هذه الظاهرة أن تستقيم مع عراقيتنا الندية ، المفعمة بالشهامة والحنية ؟! هل يعقل أن تتحول بغداد سيدة المدن ، وعروس الشرق ، مدينة السلام ، الى حديقة من الرماد والأشباح ؟!
نضرب الأرض بأقدامنا ، أشرفنا على النهر ، صعدنا (بلما) فيروزياً أنيقاً يتهـــادى فـــى حوض دجلة الخير ، صوب الضفة الأخرى ، ما أن دلفت باحة التحقيقات الجنائية حتـــى أخذتنى الدهشة ، وأذهلنى المشهد ، أنك تدخل سوقاً أكثر إكتظاظا من الشورجة نفــسها

فى فترة الذروة .. مئات ، مئات الوجوه المرهقة التى أرقها النوم ومشاق الإرتهان .. الصخب والصياح .. شرطة نشطاء الحركة يصعدون بخفة وينزلون بسرعه وأخرون يواصلون الدوران حول الأرض ، هذا يسأل وذاك لا يسمع ، وهذا يتكلم والأخر منشغل عنه شارداً ..يتأبط الشرطى رزمة كثيفة من الأوراق ، يفردها بين يديه وينادى على الناس بأعلى صوته يكرر الإسم مرتين أحدهم يصيح من تلقاء نفسه محتجاً (..إسمى ماكو ..) الشرطى وحده لا غيره هو سيد المشهد يحاول المحتشدون كسب وده والتقرب اليه ملتمسين أن يصغى الى توسلاتهم دونما جدوى وقد يدير رأسه كالكرة نصف دورة .. لكن أجوبته غامضة ، ومبتورة لا تشفى غليلاً .. يقول لرجل : أخى لا تلح لم يأت دورك بعد ، إصبر والله كريم .

ينحسرون تباعاً عن الأفياء الباردة ، نادى كبيرهم ذو الصوت المبحوح : (أبو إسماعيل إحنا جماعه باب الشيخ وين أوراقنا ، صار لنا ثلاث أيام واكفين ، ما شفنا النوم . وين راح تودونا) ؟!

أبو إسماعيل : (شويه صبر .. يجيكم السره) ؟!! .

هكذا تحدث أبو إسماعيل ، القى عبارته القصيرة ومضى !

إعتذرت دائرة التحقيقات الجنائية عن قبولى ضيفاً عليها بسبب الزحام ، فالنزلاء مئات ومئات ضاقت بهم الساحة والسطح والحجرات ، الاتون من كل فج وزاوية فى بغداد من كل الألوان والأعمار وشتى الأصناف والأطياف لا يحصى لهم عدد . يشق ولدان وصبية زحام الأروقة يطوفون بأباريق الشاي وأقراص السميط وعلب الدخان ، بصمت حذر وخوف شديد ، توفيراً لرمضان وتنفيذاً لتعليمات الشرطة .

الثانية بعد الظهر :

عدنا مرة أخرى الى الشواكة . نفذت الى أنفى رائحة الكباب العبقة ، سألت الشرطيين إن كانا صائمين ؟! فأجابا بالنفى ، فأقترحت عليهما أن نتناول الغذاء على حسابى فى مطعم حاج مهدى صاحب الكباب الشهير ، تمنعا أول الأمر ، ثم وافقا . أجلسانى بينهما وفكا قيودى .عقب الإنتهاء من الطعام ، ركبنا عربة (الربل) ، بعد أن أعيدت القيود الى معصمى ثانية .. عندما دخلنا نحن الثلاثة على مأمور المركز نهض من مكانه صارخاً بالرجلين : لماذا عدتم بالمتهم ؟!

أجاب الشرطى المسلح : (لا يوجد متسع فى الجنائية ، فأمتنعوا عن إيوائه)!

هكذا إذن (تمتم) المأمور ، التفت الى الشرطى الأخر قال له بلهجة آمرة :
(إعطن الأوراق) .. كتب : يرحل الى مركز شرطة الشيخ موسى ..
- خذا الأوراق الى رئيس العرفاء ليحرر كتاباً ، بسرعة . حمل الشرطي الأوراق الــى الحجرة المجاورة .
- وأنت ؟ أومأ بيده اليّ ، إبق مع الشرطى فى النظارة ، لحين الإنتهــاء مــن تحريــر الكتاب .. الشرطيان اللذان صحبانى الى الجنائية كانا بــسيطين وطيبــين ، ومــسالمين أيضاً وقد خفف حديثهما الودى بعضاً من معاناتى طوال الرحلة الى ضفة النهر الأخــرى ، وبالعودة منها . وفى رأيهما بأنى لن أمكث طويلاً لأن عمرى دون الثامنــة عــشرة ، لذلك سيكتفى بعد مضى أيام قليلة بفترة موقوفيتى ، التى ستعتبر مجزية ، للأفراج عنى عاجلاً أم فى وقت لاحق قصير .
عندها لن أمثل أمام المحكمة . تحدثت معهما عن أهوال الليلة الفائتة وما لقيته على يد المفوض الأول ذى الشعر الأشقر المسمى (بهاء) ، عن إسلوبه الفظ وكلماته الجارحة ، فالتفت أحدهما الى الأخر متعجباً ، وقالا بصوت واحد (إنه رجل طيب متــدين ، شــديد التقوى) ؟!
مركز الشيخ موسى : ١٩٥٩/٣/١٧
الساعة الثالثة بعد الظهر
حمل الشرطيان الأوراق وأنا بينهما مصفد اليدين ، أحمل متاعى معى ، مــضينا مــشياً على الأقدام ، إذ لم تزد المسافة عن (٧٥٠) متراً ، تمت الإجراءات بيسر وســهوله ، وكان من أروع المفاجأت التي تنتظرني في (الموقف) ، فور أن وضعت خطوتى الأولــى فى المكان ، حتى هب من بين الموقوفين من يهتف بإسمى ، مهلاً ومرحباً ، ياللمفاجأة الرائعة ، أن التقى تورى شفيق ، صديق الطفولة والصبا وأيــن ؟! فــى هــذا المكــان إحتضننى معانقاً بعد غيبة سبع سنوات ، لم تتغير قسمات وجه أبى النور ، إلا قليلاً فــ (حبة بغداد) إتسعت رقعتها على خديه وتدلّى شفته السفلى ، ولحية كثيفة.. و(شــارب) عريض ذى إستطالة .. وصوته (الأخنّ) هو هو . سعدت بوجوده ، أحسست بــأنى لــم أعد وحيداً ،.. ووجدت فى صحبته الحميمة عزاءً جميلاً .

- إفترشت (البطانية) فى الأرض الرحبة ، الى جواره ، شعرت لأول مرة بـــ (المكان) و بالراحة النسبية .. قدم أبو النور على عجل ما بحوزته من أطعمة وفاكهـــة ، وهـــو يحثنى على تناول شئ منها ،

قلت له : لندع الطعام الآن ، فأنى جائع للنوم ، فخلدت الى أعفاءة عميقة لم أصح منها إلا عند المغرب ... تحدثنا عن الفحامة وأيامها ، وأستذكرت معه (زنكوْ) ورأس المدوّر و (بيت المختار) و(الملا) و(الزوراء) ، ووقائع (الكسار) ولعبنا ومغامراتنا فـــى دروب وأزقة الكرخ .. وشاطئ خضر إلياس ، والمسناية ، و(نعـــيج المـــيّ) .. واستحـــضرنا وجوه الرفقة والأصدقاء ربيع ، محمد الكسار ، إنعيم ، عبدالله ، ابراهيم ، كريم أيوب ، غازى ، فيصل ، زهير الحفصة ، صبرى ، مزهر ، يحي ، رشودى الجرمط .

لعبنا المحبيس ، وضحكنا ، تسامرنا الى آخر مديات الليل ، .. لم ندع جزئية من تأريخ طفولتنا إلا وأتينا عليها ، منذ حملنا جزء عم معاً الى (ملا حميد) .. وصعدنا فى يـــوم واحد الدهدوانة ، فتجاورنا على رحلة واحدة ، فى مدرسة الزوراء .. وكم لعبنـــا عنـــد رأس المدور وعندنا ناصية بيت صكير ، وبيت صخيل .. وكم من المرات غامرنا الـــى المقابر والطمة والجعيفر نبحث عن الأشباح والسعلوة والخناك .. تحـــدثنا بكـــل هـــذه الوقائع ، والفحامة على مرمى حجر من المركز، قد تسمع طرقاتها الحانية الآن حـــديث بنيها القدامى عن أيام الطفولة فى عصر قمر الكرخ الجميل ..

لم ننم ، أو لم يأتنا النوم ، فبين هنيهة وأخرى ، نلتقط ذكـــرى ، أو نتـــذكر حادثـــة أو موقفاً فريداً .. فلم نهجع إلا فى الهزيع الاخبر من الليل .

لقاء نورى والقرب النفسي من مرابع الطفولة والـــصبا ، مـــلأ قلبـــى بالمـــسرات ، إن وجوده الى جوارى ، حريّ بأن يخفف عنى قدراً كبيراً من العناء .

الأربعاء مركز الشيخ موسى ١٩٥٩/٣/١٨

الثامنة والنصف صباحاً

أيقظنى ضجيج الأواني الخزفية (الفرفورى) . نورى يعد الفطور . بيض . جبن قيمـــر . دبس . تعد وجبة ملكية فى هذا المكان ، يضغى عليها أبو النور مرحة الظريف . قـــال موجهاً كلامه لرفافه الآخرين : ياالله ياجماعة تفضلوا باسم الله ..

- الضحى

حدثنى عن سبب إيداعه التوقيف ، إثر مناقشة فى مقهى البيروتي ، تحولت بعد عشر دقائق من الحوار السياسى الهادئ الى شجار بالأيدي ، إتسع كيفاً وكماً – فقذفت ا الصوانى ، والأقداح ، واستخدمت فيها (قماجي) النراكيل .. واقتيد الحمر والخضر الى مركز شرطة الكرخ ، أطلق سراح الجميع فى نفس اليوم واستبقى نورى ، لإنه لا يعرف أحداً ولم يجد أبوه من يتوسط لولده .

– مرة أخرى يعتصر قلبى الأحساس الأليم بالظلم ... ونورى لا يحمل فى صدره إلا جزءاً من أحلام الكرخ واجيالها ، التى ظلت متمسكة الى فترة طويلة بحماستها الرومانسية ، وأشواقها الحارة للوحدة العربية ، وفلسطين ، وان الغد الذى تنشده وتسعى اليه . لا يتعدى بعض الأقوال المأثورة ، والأغانى الحماسية ، والشعارات الواسعه التى تضيق بما المرحلة الراهنة .

لذلك لم يكن للغالبية من حملة الفكر القومى (اللاحزبى) دراية ثقافية كافية ، ولا خبرة سياسية ، ولا منهجا فكريا متماسكا ، يمكنهم من إجراء حوار متكافئ ، يقابلون به البرهان بمثيله والحجة بالحجة ... ولذلك فأن جبهه المواجهة الفكرية سرعان ما تتأكل دفاعاتها ، وتذوى أدبياتها ، حيال الرأى الآخر .

لا زلت أتذكر الصديق خالد عمران ، الذى كان مولعا بالمناقشات السياسية يخوض جدالات عنيفة فى أروقة ثانوية الكرخ ، ولكنه يبدأ يتقهقر عندما تجف محفوظاته الحزبية . عندها يلجأ الى القاء قصيدة حماسية مفككة التركيب ، بوصفها سلاحاً (صوتياً) ، فى محاولة إفحام الخصم المقابل .. وذات الشئ كان يتكرر ، وإن كان بمستوى أقل لدى صغار الماركسيين ، الذين كانوا حفظة لبعض نصوص ماركس ولينين ولبعض مقولات الرفيق فهد ، يتوقفون عن المناظرة حال إنتهاء محفوظاتهم .. والنتيجة أن يشتبك الطرفان بمقارنات عاطفية ، قائمة على قياس شكلى مجرد وتكون الخاتمة إختلاط المشاعر بالغرائز ، يتولد عنهما ردود أفعال هائجة، تزيد مضاعفاتها الاليمة المعانده الطفولية ولاتنتهي إلا بالمصارعة الجسدية والإشتباك بالأيدي .

لعل جيلنا بلونّيه الفاقعين الأحمر والأخضر وما بينهما من ظلال ، كان حاله في تلك الفترة شبيه بالفوران العاطفى ، والإهتياج السياسى الطفولي، والذي غالباً ما يكون هو الأشد حضوراً على ضفتي النهرين .. لم تك أخطاء فردية أو مبعثرة ولاتخص طرفا دون طرف ، إنها أخطاء المجتمع كله . الذى غابت عنه مراكز التوجيه الثقافى ، البيت

، المدرسة ، الكتاب ، السلطة ، الأحزاب . ليس ثمة مـن سـبب يـدعو الـى تعليـق المسؤولية على علة أحادية دون أخرى . كل يتحمل مسؤولية الوطن .. ويتحمل أيـضاً مسؤولية ما ألحق بالبلاد من البلاء والشقاء . مواكب الضحايا .. الجراح المفتوحـة .. الدم المسفوح .

حتى القيادات الثقافية إختزلت الوطن برمزية مشوهة ، أقرب الى الأساطير والفلكلور ، فوزعت الفكر مرة بين (قفص طماطم) ومرة على سلة خيار .. فى تعبير إيمائى سـاذج الى دلالة اللونيين ، الأحمر والأخضر !

الأربعاء ١٨/٣/١٩٥٩

الثامنة والنصف صباحاً

أيقظنى ضجيج أنية الفرفورى . نورى يعد الفطور . بيض . جبن . ميمر . دبس . تعـد وجبة ملكية فى هذا المكان ، يضغى عليها أبو النور مرحة الظريف . قال موجهاً كلامه لرفاقه الآخرين "يلله ياجماعه تفضلوا باسم الله " ..

– المضحى

حدثنى عن سبب يداعه التوقيف ، إثر مناقشة فى مقهى البيروتى ، تحولت بعد عـشر دقائق من الجلال السياسى الى أشجار بالأيدى ، إتسع كيفاً وكماً – فقذفت فـى الوحـده الصوانى ، والأقداح ، واستخدمت فيها (قماجي) النراكيل .. واقتيد الحمر والخضر الـى مركز شرطة الكرخ ، أطلق سراح الجميع فى نفس اليوم واسـتبقى نـورى ، لإنـه لا يعرف أحداً ولم يجد أبوه من يتوسط كولده .

– مرة أخرى يقصر قلبى الأحساس الأليم بالظلم ... ونورى لا يحمـل فـى صـدره إلا جزءاً من أحلام المرخ واجيالها ، التى ظلت متمـسكه الـى فتـرة طويلـة بحماسـتها الرومانسية ، وأشواقها الحارة للوحدة العربية ، وفلسطين ، وان الغـد الـذى تنـشده وتسعى اليه . لا يتعدى بعض الأقوال المأثورة ، والأغـانى الحماسـية ، والـشعارات الواسعه التى تضيق بما المرحلة الراهنة .

لذلك لم يكن لحملة الفكر القومى (اللاحزبى) دراية ثقافية كافية ، ولا خبـرة سياسـية ، ولا منهج متماسك ، يمكنهم من إجراء حوار متكافئ ، أ، إسلوب رحين يقـابلون مـن خلاله البرهان بمثيله والحجة بالحجة ... ولذلك فأن جبهه المواجهه سرعان ما تتأكـل دفاعاتها ، وتذوى أدبياتها ، حيال الرأى الآخر .

لا زلت أتذكر الصديق خالد عمران ، الذى يخوض جدالات عنيفة فـى أروقـة ثانويـة الكرخ ، ولكنه يبدأ يتقهقر عندما تحف محفوظاته الايدلوجيه . عندها يلجأ الـى القـاء قصيدة قومية مفككة التركيب ، بوصفها سلاحاً (صوتياً) ، فى محاولـة إفحـام خـصمة المقابل .. وذات الشئ كان يتكرر ، وإن كان بمستوى أقل لدى صغار . الماركـسيين ، الذين كانوا حفظة لبعض نصوص ماركس ولينين ولبعض مقولات فهد ، يتوقفون عـن المناظرة حالى إنتهاء محفوظاتهم .. والنتيجة أن يشتبك الطرفان بمقارنـات عاطفيـة ، قائمة على قياس شكلى مجرد وتكون الخاتمة إختلاط المشاعر بالغرائز ، يتولد عنهمـا لغة غتمضة ، لا يفك أسرارها إلا المعانده الطفولية والإشتباك بالأيدى .

لعل جيلنا غالبيه جيلنا الأحمر والأخضر وما بينهما ، وقع فى هذه الفوران العـاطفى ، الإهتياج السياسى غالباً ما يكون هو الأشد حضوراً على ضـفتي النهـرين .. لـم تـك أخطاء جيلنا وحده ، إنها أخطاء المجتمع كله . الذى غابت عنه مراكز التوجيه الثقـافى ، البيت ، المدرسة ، الكتاب ، السلطة ، الأحزاب . ليس ثمة من سبب يدعو الى تعليـق المسؤولية على مراكز دون أخر . كل يتحمـل مـسؤولية الـوطن .. ويتحمـل أيـضاً مسؤولية ما ألحق بالبلاد من الإيذاء . مراكب الضحايا .. الجـراح المفتوحـة .. الـدم المسفوح .

حتى القيادات الثقافية إختزلت الوطن برمزية مشوهه ، أقرب الى الأساطير والفلكلور ، فوزعت الفكر مرة الى (قفص طماطة) ومرة الى سلة خيار .. فى تعبير إيمائى سـاذج الى دلالة اللونيين ، الأحمر والأخضر !

الأربعاء ١٨/٣/١٩٥٩

مركز الشيخ موسى – معتقل خلف السدة .

الساعه الثامنه مساء

بلغنا بأمر الترحيل فى حوالى الثامنة ، نورى وأنا وشخص ثالث ولكن الى أين ؟

إلى أيّ من المواقع أو المراكز؟ لم يجب رئيس العرفاء بكلمة !

صعدنا مصفدين بالأغلال تباعاً الى عربة شبيهة بالصندوق تـسمى (البـوكس) ثمـة (كوة) فى أعلى العربة يخترقها الضوء والأصوات ..

تساءلنا : ترى الى أين نحن ماضون وفى هذا الوقت من الليل ؟!

ولماذا العربة الصندوق وهذه الحراسة المشددة علينا من قبل حاملي البنادق الأربعة ؟!!..

ها نحن فى علاوى الحلة ، الاحساس القياسي للمسافة وصوت (السكنية) ينادون ركاب النجف ..عربة البوكس فى حالة صعود كما الهضبة ، ثم تنسرح ، إنه جسر الاحرار نتجه يميناً .. شارع الرشيد .. تداخلت الحركة وزادت الإنحناءات .. ففقدنا الدلالة ..

سألت : نورى ترى لماذا حجبوا عنا الجهة أو المكان ، ماالذى يجعلهم يتكتمون ، وكأن فى الأمر سراً خطيراً ؟

أجاب : لابد أن وراء هذا الكتمان شئ ؟! بعد حوالي نصف ساعة من مواصلة السير خفت الحركة من حولنا ، وإنطفأ صخب شوارع المدينة ، وتناءى الى مسامعنا فجأة نباح كلاب ، أفضيت الى نوري بإحساسي بأننا غادرنا العاصمة الى أرض أخرى ، .. بدأت العربة تتعثر كما لوأنها تسلك طريقا وعرة تخض أجسادنا خضا متواصلا ، صعودا وهبوطا ، وقد أخذت الهواجس منا مأخذ الشك والإرتياب ، بعد مرور نصف ساعة أخرى غذت العربة نسبيا حركتها ، يبدو انها الآن في طريق ترابي ، فقد تسرب الغبار الى داخل العربة.

تكلم الشرطى الأول من تلقاء نفسه :

- كدنا نصل ؟!

وإنبرى الشرطي الثاني: نحن ذاهبون الى الشرطة السيارة .

صاح الثالث محتجاً : وما شأن الموقوفين بمكان كهذا ؟!

قال الشرطى الاول بمرح مصطنع : لأن الحكومة إستحدثت قاعات لإيواء المعتقلين هناك .

قال شرطى أخر : بل حولت مضاجع الشرطة السيارة الى معتقل ..

وساد الصمت ، تخليت عن سؤال علق بلسانى فجأة (موقف) فى مركز شرطة وبين معتقل ملقى فى مكان ناءٍ بعيد عن مركز العاصمة ؟!

عادت العربة تبطئ في سيرها فالطريق وعرة وعثاء وبدا المشوار طويلاً .. الغبار ينسل الينا من سقف الفتحة العلوية .. إقتحم إذنى نباح كلاب ، وثغاء بقرة ... فجأة إنتظم سير المركبة ، لم تعد هناك عثرات أو أخاديد ، الطريق ناعم لين .. أكاد أشم الآن رائحة الطبيعة . توقف البوكس .

قال الشرطى الأول معلقاً وموضحاً : إنها نقطة السيطرة الأولى .. إستأنفنا الطريق .. توقفنا مرة أخرى ، علمنا أنها النقطة التالية ، ومضينا قليلاً ، تباطأت العربة ، هاقد وصلنا ، أصلح الشرطة هندامهم وأحكموا ربط الأحزمة ، وتعديل (السدارة) ، توقفنا ، إنفرج

الباب الأيمن ، قفز الشرطة واحداً تلو الآخر ،.. أخذوا بأيدينا المقيدة ، وأنزلونا تباعاً ، تلّفتُّ وأنا غير مصدق ، دارت عينايّ فى كل الفضاء الوسيع ، الأرض مبسوطة بما رحبت ، رقع متناثرة من العشب لم تلتئم بعد .. رائحة الأرض تعبق فى الأرجاء ، المباني بيضاء ذات طابق واحد تبدو جديدة وناصعة ، تتجاوز فى صفوف منتظمة متتالية كما عربات القطار .ثمة فناء فسيح على جانبيه مستطيلان متماثلان باللون والمساحة ، دققت النظر فى صف الشبابيك المحمية بقضبان الحديد ، فرأيت ظلالاً تلتصق وأخرى تتحرك تستطلع العربة البوكس ، ويرقبون حمولتها ! فوجئنا بالرياح القوية وببرودة الجو ، وكأننا في ذروة الشتاء .

إصطحبنا الحراس الى حجرة دافئة قائمة بذاتها تقع قبالة القاعة الشمالية ، تتدلى من سقفها ستائر بلون الرصاص، ثمة صورة الزعيم عبد الكريم قاسم معلقة في صدر الحجرة ، سرير نوم سفري ، ومدفأة نفطية تفوح منها رائحةالادخنة ، دولاب حديدي مكتب صغير متواضع ، منضدة مهملة ملقاه فى الزاوية . يعد حوالي ربع ساعة على وصولنا دخل علينا المفوض المسؤول وكان في الخمسينات ضئيل الجسم بطئ الحركة أدى الشرطي التحية النظامية ، وسلمه أوراق الإحالة ، ثم تراجع خطوتين .. ونحن واجمون .

إستل المفوض الهرم من بين سجلاته النضودة واحدا من بينها . دقق أسماءنا واحداً ، واحدا وهو يؤشر على الأوراق ، ثم يكتب فى السجل الكبير .

سألنى المفوض : كم عمرك ؟!

أجبت : ١٨ سنة ؟!

قال : يعنى دخلت الثامنه عشرة ووجه نفس الأسئلة الى نورى شفيق والى زميلنا الآخر عباس ، فكانت أعمارنا على التوالى ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ .

– وجه الرجل الهرم كلامه اليّ قائلاً : ستكون أصغر موقوف فى معتقل الشرطة السيارة إلتفت الى الشرطى الأول ، وطلب منه نزع الأغلال عن أيدينا ..

ووجه سؤالاً يبدو تقليدياً : هل أنتم طلبة ؟

– أجبنا نحن الثلاثة : بلى

- نادى المفوض شرطياً إسمه فاضل ، طلب منه إيداعنا فى قاعـــة رقــم (١) . حملنـــا متاعنا ، إفتض قفل الباب الحديدى الذى يبدو جديداً ، إذ ما تزال رائحة الصبغ الزيتـــي تضوع منه .

.. ما إن شرع الباب ، وولجنا المستطيل الأبيض ، حتـــى تعـــالى التـــصفيق وتوالـــت الهتافات وهم يرددون : (إ ن شاء الله النصر يكون لنا) ...

عشرات الرجال ، إصطفوا على جانبي القاعة ، كان علينا أن نمر عليهم جميعاً واحداً ، واحداً ، العناق ، المصافحة الحارة ، وعبارات الثناء والتشجيع ، والترحيب ... فوجئت ب(سعة) المكان ، إذ يتجاوز طول القاعة الخمسين متراً وعرضها حـــوالى (٨) ثمانيـــة أمتار . واضح أنها شيدت حديثاً ، وكأنها أعدت خصيصاً للمئات الآتين ممن ضاقت بهم مراكز شرطة بغداد وأطرافها أحطنا نورى وأنا منذا وصـــولنا برعايـــة متميـــزة نظـــراً لحداثة عمرنا .

تولّى رجل إنتدب نفسه للإشراف على شؤون الوافدين الجدد فهيأ لنا مكـــان الإقامـــة ، فبسطنا الأفرشة، ووجدنا عند حافة الشباك متسعا لمتعلقاتنا الشخصية ، نحو الملابـــس وغيرها ... وصل تعداد المستطيل عند إلتحاقنا الى (١٦٢) معتقلاً . ما إن إســـتقر بنـــا المقام ، وارتحنا قليلاً ، حتى توافد علينا المعتقلون زرافات ووحدانا .. يسألون ونحـــن نجيب ، وكأننا فى مؤتمر صحفى ... الشئ الرائع هنـــا أننـــا أكتـــشفنا وجـــود بعـــض الأصدقاء والاصحاب ممن سبقونا الى هنا :

- خالد علوان السامرائي (أبو ديّة) . صديقى وزميلى فى متوســـطة فيـــصل وثانويـــة الكرخ ، كان مجادلاً ، لا يكف عن المناقشة والمناظرة ، يهوى الرياضة البدنيـــة ، ظـــل قريباً من قلبى ، كان ينتمى الى حزب الإستقلال ، ثم فى الحزب العربي الإشتراكى .

سقط ميتاً في أوائل السبعينيات قرب الشيخ معروف إثر رصاصات نافذة ، فى مـــشاجرة شخصية ، وإرتحل عن الحياة وهو فى مقتبل العمر .

ومن بين المعارف الأخرين :

- خالد ناجى طالب فى كلية الحقوق . سوق حمادة . يقـــرأ بـــنهم ويحـــاول بمنطقـــه المهذب أن لا يغضب أحداً .

- أحمد ومحمد أشقاء من (كهاوى تمكيل) زميلاى فى (ملا حماد).

- رحيم من سوق حمادة .

- على ماما في سني شبابه كان من شقاوات سوق الجديد وخضر إلياس ، تعرفت عليه عام ١٩٥٨ عن طريق الشيخ كرم وخالد علوان .. يهتم بالمصارعة ، مولع بالدعابات .. يشيع صخباً وضحكاً فى أرجاء المستطيل .. لا يكف عن الألعاب البهلوانية .

وتعرفت على العديد من الشخصيات والنماذج :

- وهاب الكردى وأخوه (إبراهيم) ، كان كلا الشقيقين نموذجاً للدماثة والتلقائية ، يزيد وهاب أخاه ، بأنه له صوت عذب ، مفعم بالشجن . يغنى بعض مقاطع الغزالى فى الضحى ، وعند المساء يبدأ فصل قراءة (المقام) ،كان مرحا و صحبته دافئة لا تملّ .

الشقيقان نادر وصلاح : من القطر السورى ، يمتلكان مكتبة (العربى) فى شارع الرشيد مقابل سينما الحمراء ،

أصحاب(كعك السيد الشهير) ، أحدهما فى الخمسين ، ممتلئ نسبياً ، يلثغ بـ (الـراء) والأخر فى الثلاثين من عمره فيه شقرة .

- أحمد عبدالجبار كشمولة . طالب فى كلية الشرطة . دمت الخلق . هادئ ، وديع ، صائم ، يقوم الليل ورعا .

- خالد حاوى : من منطقة سوق الجديد ، مفرط السمنة ،ذو قامة مديدة .

- حميد خلخال :

- بدر كبة

- عدنان كندي : مهندس نفط يعمل في منشأة نفط الدورة .

- صادق العباسي : مهندس نفط يشتغل قي مصفى الدورة .

- جمال المصلاوى (سائق) سيارة أجرة .. متهم بمحاولة (إغتيال رئيس الوزراء {الزعيم عبدالكريم قاسم}) جراء {التزامن} الفريد فى غرابته ، بخروج جمال بسيارته من الفرع المجاور بسينما روكسي شارع الرشيد ، فى نفس اللحظة التى كان موكب رئيس مجلس الوزراء يمر قباله الزقاق فحصل التقاطع بين العربتين ، مما دفع أفراد الحماية الى إلقاء القبض عليه وتوجيه تهمة محاولة إغتيال الزعيم !!

وظل جمال لفترة طويلة فاقداً ذاكرته ، قيل بسبب تعرضه الى إجراءات التحقيق الصارمة ، من الضغط والإيذاء ، لإنتزاع إعتراف منه بمحاولة الإغتيال .. أو لعل ذلك يعود الى الرعب الشديد الذى أصابه ، فانعقد لسانه ، فغابت المرئيات عن ذاكرته . ولم يسترد جمال ذو العقد الرابع وعيه البصري إلا بعد مرور ثلاثة أسابيع جراء سقوط

بسطال أحمد الكشمولة فوق رأسه ، قذفه أحد المعتقلين فى الفضاء ، دون قصد منـــه ، فأيقظت الضربة ذاكرته . وكانت أول عبارة نطق بها عقب الحادث أن صاح بملئ فمـــه (أني جوعان) !

- إبن الحلاق الأرمنى (بو غوص) صاحب الصالون الشهير في عمارة حافظ القاضـــي بشارع الرشيد ، كان طالباً فى كلية الطب ، يضع نظارة طبية ، رقيقاً ضئيلاً نحـيلاً أبيض البشرة ، لم يفارق كتبه إلا عند تناول وجبات الطعام أو فـــى الـــذهاب الـــى الحمام – تعرض الى الموقف التالى :

المحقق النقيب عمر : هل أنت منتم لحزب ؟!

إبن بو غوص : أجل ، فأنا منضم الى حزب البعث .

دهش المحقق ، وذهل المعتقلون ، فكيف يعترف بلسانه وبهذه البساطة والتلقائية .

قال المحقق : (أنا سعيد بك ، طالما إنك إعترفت طواعية ، فأعتبر نفـسك حـــراً ، وســأطلق سراحك فى الحال . هيا ارتد ملابسك واحمل متاعك ، لنوصلك الى بيتكم) .

خفّ طالب الطبية النحيل الرقيق ، مسرعاً ، وهو يلملم فراشه ومتاعه علـــى عجــل ، اقتاده الحرس قبيل المغرب وجئ به فى الفجر ملفوفاً ببطانية سوداء !

أفقنا من النوم فزعين ، وعندما كشفنا الغطاء ، هالنتنا مفاجأة مروعة ، بدا وكأنه فـــى الرمق الأخير ، فأنينه يقطّع الأفئدة ، تنتشر على جسده أثار سياط . وكدمات ، ودمـــاء تنز من رأسه وجبهته .. وكأنه خرج من (مسلخ) ؟! على أثـــر الإحتجـاج والـــصخب العالي ، هرع آمر القاعة بنصف ملابسه مهرولاً يستطلع ســـر ضـــجيج الموقـــوفين.. وعندما رأى حال الفتى لم يخف إمتعاضه ، فبادر الى إستدعاء الطبيب الذى قرر نقلـــه حالاً الى مستشفى الرشيد العسكري .

– ثمة رجل بلغ من العمر عتيّا ، ولكنه كان في غايـــة الحيويـــة والنـــشاط ، يواصــل ممارسة التمارين السويدية عند الفجر وأوقات العصر – يشغل منصب مدير عـــام فـــى شركة نفط العراق – فلسطينى الجنسية ، تضامن مع المعتقلين فى الإضراب عن الطعام إحتجاجاً على قيام الدهماء بالإعتاء على أهلينا وعوائلنا خلال يوم الزيارة ، فقد تعرض البعض منهم للمهانة والبعض الآخر الى الضرب المبرح .

وقد ألّح الكثيرون عليه أن يتوقف عن الإضراب إضفاقاً عليه .. فأبى أن يتنـــازل عـــن حقه فى التعبير عن موقفه ، وهو يردد (مصيرنا واحد . وإن ما يصيبكم يصيبنى) فى

اليوم الثانى من الإضراب لم يحتمل وضعه الصحى الواهن ، فخارت قـواه ، وتـداعى مغشيّاً عليه ، فنقل الى الطبابة لإجراء الإسعافات العاجلة لإنقاذ حياته ، عاد إلينـا فـى ضحى اليوم التالى وهو يمشي على قدميه معافى .. وقد حفّ الجميع به ، وقد إسـتقبل بتوفير ومهابه كبيرين ..

قال مداعباً : (ياجماعة إنها ليست إلا وعكة صغيرة.. كل ما فى الأمر هو إنخفاض شديد فـى ضغط الدم) .. وقد لاحظت أن المشرفين على القاعة حتى المفـوض الأول غالبـاً مـا يلجأون اليه ، لأخذ رأيه ، وطلب مشورته ، لتـصريف أمـور القاعـة وحـل بعـض الإشكالات الطارئة .

وهو المتحدث بإسم الجميع مع إدارة المعتقل ولعل أقرب وصف له هو (الأب الروحي) وهو يحظى بإحترام الكل ، فكلمته مسموعة .

القى علينا يوما محاضرة ثقافية- سياسية ، تحدث فيها عن ذكرياتـه فـي فلـسطين ، وعن المجازر التي تعرضت لها البلدة ، التي كانت عائلته التي كانت تقيمم في ربوعهـا ورغم المذبحة التي إرتكبها عصابات العدو الصهيوني ، التي راح ضـحيتها عـشرات الشهداء من الشباب والرجال ، فإن البلدة لم تلقي سلاحها في الدفاع عن الارض ، بـل بقيت عنيدة صامدة بوجه القتلة ، قبل أن يجري إجتياحها بالدبابات والاسـلحة الثقيلـة التي حولت بيوتها الى أطلال وخرائب ، وإقتادت معها غالبية السكان وإعتبرتهم أسرى.

- تتنوع الشخصيات والطباع هنا ، الاعمار والمهن والهوايات والإهتمامات .. وتتـسع الرقعة الجغرافية ، بغداد ومـا جاورهـا ، مـن الأطـراف والنـواحي ... القرويـون والمزارعون وأبناء المدن .. سائق عامل ، حداد ، معلم ، محام ، أستاذ جامعي ، نجار ، حلاق ، طالب جامعى ، تلميذ مدرسة ، موظف حكومى ، مدير عام ، قعان ، رياضـى ، قهوجى ، خياط ، رجل دين ، شقاوة ، .. عاطل ، فلاح ، مغامر ، عسكرى ، تاجر .

- هذا الثراء الواسع من الألوان والأشكال المهنية والوظيفية والحرفية ، تتوزع على المستطيل المتآلف الذى توحد نزلاؤه (محنة واحده) ، يقرب بينهم الألم والتمرد والحلـم ، ... غالباً ما يترفعون عن الصغائر ويتجاوزون الهفوات والأخطـاء الـصغيرة .. وإذا طرأ خلاف أو حدث شجار لأى سبب معروف أو مجهـول ، فـأن بوسـع العقـلاء أن يعالجوا الأمر فوراً بهمة عالية .

– فوجئت كما فوجئ نوري بـــ(قائمة الطعام اليومية) ، والمبلغ المخصص لكل واحـــد منا ، فقد عد (خلف السدة) ، معتقلاً سياسياً ، وللنزيل مخصصات يوميـــة تبلـــغ(٤٥٠) أربعمائة وخمسون فلساً تصرف لمقاول مقابل تأمين ثلاث وجبات مـــن الطعـــام . وأن جدول الطعام الأسبوعى يحتوى على المواد الأتية :

	الفطور	الغذاء	العشاء
	قيمر	برياني+ مرق	سكالوب
الفطور	حليب	دجاج على تمن	دجاج مشوى
المتنوع طوال	بيض	سمك + تمن	كباب وتكه
أيام الأسبوع	جبن	لحم + رز	بورك
	كاهى	قوزى	سمك
		قوزى الشام	دجاج مشوى
		دجاج على تمن	كباب وتكة

فضلاً عن الفواكه والحلويات والشاي ، وهناك قائمة خاصة بـــ(الصائمين) . تتـــضمن وجبتى .. فطور وسحور .

تعرفت لاول مرة في حياتي على أطباق من الاطعمة لم أسمع بها ومنها : (الاســـكالوب) وجربت هنا أيضا وجبة (قوزى الشام) التى لا عهد لى بها قبل أن أردّ المعتقل ، كنت أسمع بهذه الأكله ولكنى لم أرها ، ولم أتذوقها إلا على مائدة المستطيل ..

.. إن جوده الطعام كماً ونوعاً ، فى الوجبات الثلاث ، وتنوعها اليومى جعل الكثيـــرين من رواد المعتقل ونزلائه ، يشعرون بأنهم فى مرحلة إستجمام باذخة ، يأتينا الأكل مـــن أرقى مطاعم العاصمة ساخنا ، أ ويوضع بين أيدينا ، عدا فاكهـــة الموســـم الطازجـــة والحلويات بأنواعها ، تتنوع كل يوم ، فأى رفاهية هذه التى لم تتوفر لنا بهـــذا التنـــوع من الأصناف اللذيذة .

وقد خصص لنا مجاناً ، ودونما مقابل .. صحنان جديدان أحدهما للرز والآخر للمـــرق ، ولوازمها كالشوكة ، سكين ، ملعقة، فضلاً عن كوب وملعقـــة صـــغيرة ، للحليـــب أو الشاى .

وهاب الكردى المولع بـــي(المقام العراقى) ، الى حد العشق والغناء فى فنونه ، حـــذق فى إظهار موهبته فى الأداء الجميل ، وقدرته على تحويل التعليقات والطرائف والأقوال

الشائعة ، وحتى الشعارات السياسية الى نغمات مقامية .. يختلط فيها الجد بالهزل مما يبعث البهجة فى نفوسنا .

الخميس ١٩/٣/١٩٥٩ .

سمعت صوتاً رخيماً يرفع الآذان ..

فقد نودى لصلاة الفجر .

أزحت الغطاء عن وجهى ، رأيت الشيخ يهم بأقامة الصلاة ووراءه صفان متراصان .. وبدأ الشيخ (الترتيل) بصوت عذب شجي .. عاودت النوم .. وقبيل أن تأتى شمس الخميس بالضوء ، أيقظنا هدير الباب الحديدى وهو يدوى بعنف فإذا بضابط نقيب يصيح بالنائمين ، إنهضوا أيها الراقدون المتآمرون!

إحتلّ الجند المدججون بالبنادق الرشاشة القاعة ، إنبث فى أوصالى خوف غامض ، هزّنى هزّاً عنيفاً ، كدت أسقط أرضا من وقع الحدث الصاعق، حاولت أن أصلب عودي وأتمالك نفسي فيما كان الخوف يعتصر يملؤني ، لم أستطع سماع كلمات نوري المبعثرة ، وهو يقف متثائباً ، مترنحاً ، يغالب النعاس ، وهو نصف نائم .

- (كل واحد يقف أمام فراشه بلا حراك ويده فوق رأسه)

هكذا صاح صوت الضابط المجلجل ، ذو القسمات الصارمة ،

إمتثل الجميع للأمر ، وضعت يدى فوق رأسى وزاد وجيف قلبى .

-أومأ الضابط برأسه .

إنقضّ الجندُ على موجودات النزلاء كما العاصفة الهوجاء نثروا الأفرشة ومزقوا الوسائد بالحراب وسحقت البساطيل كل شبر في القاعة قلبوها رأساً على عقب ، (البساطيل) ، العبث فى كل مكان ، أكاد أشم رائحة الغضب .لاتزال أيدينا مرفوعة فوق رؤوسنا .

عاث الجند المقتحمون فى المستطيل فساداً ، فقد تناثرت الأمتعة ، وتحطمت الصحون وديست الفاكهه بالأقدام ، ومزقت الوسائد بالحراب .. إنهم يفتشون كل شئ .. يبحثون يفلّون الموجودات .. مدوا أيديهم الى الأحذية والجيوب ..

فحصوا زوايا القاعة ودققوا البحث فى الشبابيك .. وبعد مرور ساعة ، وقف حاملو البنادق والحراب فى وضع إستعداد . تقدم العريف من الضابط قائلاً : لم نعثر على شئ سيدى ! .. إستدار النقيب ، وتبعه الجند ، وإصطفق الباب .أول عبارة سمعتها : (إنا

لله وإنا اليه راجعون) .. بدأ كل واحد منا يسأل صاحبه ، عن سبب الزياره المفاجئة فى مثل هذا الوقت المبكر .. عم يبحث هؤلاء ؟!

ترى هل سيجدد الغزاة حملتهم مرة أخرى ؟! ومتى ؟!

توالى بسط الأفكار والأراء ، فى البحث عن الدوافع من وراء هذه الهجمة غير المرتقبة ، التى أوقعت الرعب فى القلوب قال الرجل الكهل : ربّ ضارّة نافعة ، فقد يعود الجند ويباغتونا فى أى وقت ، علينا أن نحتاط للأمر ، فمن بحوزته ورقة أو بيان منشور ، أو كتاباً ممنوع ، فليبادر من الآن الى التخلص منه ، علينا أن نكون أذكى وأكثر نباهه من الطرف الآخر ... الشئ المهم أن نسقط الحجة ، وان لا ندع لهم ذريعة يكررون إنقضاضهم علينا ، فتشوا جيوبكم مجدداً ودققوا أوراقكم..

بادرنا الى تقليب جيوبنا ، وفحصنا الكتب والأوراق والمذكرات .. مزق البعض منا صوراً ، وأوراقاً ، وأخفى ما أخفاه ، وأحتطنا للجولة المرتقبة . أو الإقتحام المحتمل .

الجمعه ١٩٥٩/٣/٢٠ .

تنشغل ساعات النهار الأول ، بـ النظافة والتنظيم ، وعند الضحى تنعقد المنابر السياسية والحلقات الثقافية ، وأركان الثرثرة . ومن الناس من يفضل الإنصراف الى شأنه الخاص بالقراءة أو الكتابة أو العودة الى النوم أو غالباً ما تثير المناظرات السياسية صخباً وضجيجاً فيتحول الحوار الى صراخ محموم من الصعب السيطرة عليه ، وقد يبدأ الخلاف حول واقعه ما ، أو موقف سياسى محدد ، ثم يتفرع النقاش ويتسع لجزئيات جانبية توقع المتحاورين فى تفاصيل صغيرة ، ليس بوسع أى طرف منها أن يخرج منها ..

ثمة محاور لاحزاب وجماعات تنظيمية تتبادل الحوارات فيمابينها مثل :

- الإستقلال
- جماعة الإخوان المسلمين
- حركة القوميين العرب
- البعث العربي الاشتراكي
- الرابطة القومية
- التحرير الإسلامى
- جند الرحمن

- العربى الإشتراكى

- الوطنى الديمقراطى

أما القوميون المستقلون فيشكلون الغالبية .. وبوسع القارئ أن يتصور حجم هذه البانوراما الواسعة والمكتظة بالإتجاهات الفكرية والعقائدية ، وهذا الكم الهائل من الايديولوجيات والرؤى التي يعبر كل حزب من بينها عن مستوى وعيه الثقافي. وبسبب حداثة السن وفقر الثقافة السياسية آثرت ورفيقي نوري شفيق دور التلميذ المبتدئ الحريص على متابعة المناظرات السياسية الدائمة الإنعقاء بين الفرقاء ومحاولة الإفادة من الخبرات المتراكمة من ذوي التاريخ النضالي الطويل والوقوف على تجارب الاحزاب وبرامجها في العمل السياسي ، والشئ الوحيد الذي كنت أجيده هو الإصغاء . على هامش القوى والاحزاب السياسية ، ثمة منابر فكرية عديدة قيد الإنشاء والتكوين ، يتوزعون كالظلال على إتجاهات أقرب الى الشخصية والذاتية الغالبية منهم مصابون بداء الذاتية وغارقون في نرجسية مرضية ، ففي الوقت الذي تبحث الغالبيةعن عقد جامع يوحد الصفوف ويسهم في ترصين الإرادة العامة لمواجهة القهر السياسي والإرهاب الفكري في جبهة متماسكة تتنازل عن الخلافات الجانبية وترتقي بوعيها الوطني الى مستوى راق من العلاقات النضالية المشتركة فإنك ترى من يفكر بطريقة الهرم المقلوب على رأسه ومعظم هؤلاء لاينتمون لحزب بعينه قدر ولائهم لأنفسهم ومن هذه النماذج :

- من ليس بحوزته إلا البلاغه اللفظية الإنفعالية والتجريدات النظرية ، فيبدو ثقيلاً جافاً يصيبك بالضجر والغثيان .

- آخر يمتلك صوتاً جهورياً زاده المفضل : المواعظ والحكم والمقولات المجففة ، وقد يلجأ الى الأغاني والأناشيد ، يشتعل حماساً وكأنه مقبل على معركة فاصلة .

- القطع الجازم ، الحقائق النهائية ، والنتائج الثابتة ، يتعلق بها نموذج رابع ذو صبغة دينية يعلي بها شأن أفكاره المقدسة ويسخر من الإيديولوجيات الآخرى ، فلا يرى الحق مقيما في أي فكر إلا في يقينياته الشخصية ، وهوالمعنى لوحده بإقامه العدل على الأرض ، أما الآخرون ، فهم في رأيه طارئون على الحياة السياسية وسيكون الجحيم مأواهم الابدي .

- وثمة لون لاهوتي آخر يعتقد إعتقاداً أبدياً بأن من أراد سعادة الدارين عليه الإنتماء الى حزبه الديني قيد التأسيس والإلتزام بمنهجه الإيماني بوصفه حاملا للكمالات الأخلاقية، وإن عقيدته خلاصة تجربة خاضها بشجاعة، وخرج منتصرا رغم المحن والشدائد مما يجعل من مشروعه الإختيار الأوحد لإنقاذ العباد وحماية البلاد .

- أما النموذج الفريد فهو الذى قضى بتكفير الجميع ولم يستثن من الناس أحداً . حتى الأخوان المسلمين لم يسلموا من تعميمه ، إلا إذا إستتابوا وعادوا الى الطريق القويم .

- ومن الحسنات الحميدة أن مثل هذا النموذج كان نادراً إلا أن صاحبه لم يجد أحداً يشاركه فى أرائه المتزمتة .

- وقد تجد حزباً واحداً مبثوثاً فى كل هذه النماذج ، أو أن الأحزاب كلها تشارك فى هذه الرؤى طبقاً لمستوى الوعى ، والثقافة والإستيعاب ، مما يجعل بعض الحزبين من هذه الشريحة عبئاً على الأحزاب التى ينتمون اليها ، ويتحولون بأساليبهم الذاتية الى وسائل كف وطرد وعزوف .

عصر الجمعة ١٩٥٩/٣/٢٠ .

جاءنى السيد على هارون (يعمل شرطى سائق) حاملاً معه حزمة من الكتب والأشواق بعث بهما خالي الماركسي عبود .. فرحت بأيام (طه حسين) ، والمازنى ، وجبران ، والمنفلوطى ، كولن ويلسون ، غوركي ، وتشيخوف ، ديستوفيكسي ،.. باشرت إعادة قراءة بيت الأحزان .

أول الليل

- عملية الإستحمام التى بدأت منذ الصباح ، لم تنته بعد ، فالطوابير قائمة الى الآن (التاسعه مساءً) ، فأحد الحمامين المخصصين للقاعة ، إنقطع عنه الماء بلا سبب .

الحصول على فرصة الإستحمام الكامل لا تتوفر إلا فى يومي الجمعة والإثنين .. وإن دخول الحمام قد يكون مغامرة غير مأمونة العواقب أحياناً ، بسبب شدة البرد والقطوعات المحتملة فى الماء الساخن ، وإن عدداً من زملائنا أصيبوا بـ(الزكام) .

لفت نظرى (العربى السورى) الذى استحدث طريقة فريدة فى النظافة ، إذ يمسح جسده بـ(القولونيا)، ليتجنب طابور الحمام .

- طالب الحقوق خالد يستلقى على فراشه وهو يعكف على قراءة كتاب ضخم في القانون زنته أكثر من ثلاثة كيلوات عنوانه (الإلتزام) .

أول الليل

أمضينا الليل فى مناقشات مستفيضة عن حقيقة الأشباح والأرواح ، تحدث علـــي (مـــن سامراء) عن عجائبيات يصعب تصديقها ، وهو يروي بحماسة مهيبة حوادث وقـــصص عن صلة الجن بالإنس ، زعم أنه شهد بعض وقائعها بالعين المجرده ، وهـــو يحـــاول تأكيد ادعاءاته ، بأن يقسم اليمين على ذلك عقب كل روايه يدلي بها .

وقد جذبت مروياته العجائبية الكثيرين .. يـــصيخون الـــسمع ويحـــسنون الإصـــغاء ، ويتلقون أحاديثه بشغف لذيذ ، إلا (الشيخ) الذى كان يقاطعه بين الحين والآخر ، ليظهر درايته فى تصحيح بعض آرائه ، والتى ضاق بها صدر السامرائى فصاح محتجاً :

(تعال إقعد فى مكانى) ... ويبدو أن كلا الـــرجلين ، مـــصاب بميـــول إستعراضـــية فيحاول كل منهما ، إبراز معرفته بهذا الضرب من (الأسرار) كما يحلو للشيخ أن يطلق على هذه الروايات ، وإن ليس بوسع أحد من الناس أن يتحدث بهذا العلم غيـــر إثنـــين هو والسامرائى .

حاولنا تهدئه خواطر الرجلين .. فأفاض (أبو حسين) فى تأكيداتـــه الشخـــصية بوجـــود (أشباح) تطوف الأزقة والدروب وإن بيوتاً كثيرة مسكونة ... أخذ كل واحد من مريـــدي جلسة العجائب يروى حكاية سمعها ، أو تجربة يزعم أنه مر بهـــا ، تـــستمر القـــصص وتتواصل الحكايات حتى نطل على اليوم التالى ، وينقضي الليل سمراً ، ويعـــد الـــشيخ الجلساء بأن يتحدث فى الليلة الأتية عما ورد من الغرائب والعجائـــب فـــى النـــصوص الدينية والمأثورات التراثية ، عقب إنقضاء حلقة المسامرة ، عادت بـــي الـــذاكرة الـــى (زنكو) وأيامها ، والى أحاديث الطفولة عن (الأرواح والعفاريت والأشـــباح) ، فولجنـــا الطمة ، وإقتحمنا (الخرائب) ، وبحثنا عن (الخناك) فى (المنطلة) ، فلم نر ظلاً لشبح أو أثرا لجنّ .

قال نورى : هل لحظت ما تحدثه أو تتسبب فيه الرؤى والخيالات الطليقة من أثر نفسي فى عقول المتلقين من ترقب وتوق ولذة الخوف ، وهم مشدودون الى السرد القصـــصي ، يتقاطرون بتاعاً ، غائبون فى زحمة من الإنذهالات .. ســـعداء بمـــا يعرضـــه علـــى السامرائى ، ومن بعده الشيخ من تصورات وأوهام ؟!

أجبته معلقاً : يبدو أن فقدان الحرية يورث الإنسان القدرة على الإنفـــلات مـــن قبـــضة الواقع فرارا من سطوته القانطة ، عبر الومضة الذهنية التي تستحدث منطقـــا ســـحريا

يقلب صورة الاشياء مما يجعل المستحيل ممكنا ، عندئذ تــذوب الحــواجز والجــدران وتنفتح الابواب الموصدة وتنحل القيود ، وهذه واحدة من فضائل الحبس ، وإلا أين نجد مثل هذه الأعاجيب التى سمعناها ؟!

ويبدو أيضاً أن (التخيّل) حاجة إنسانية قبل كل شئ ، وظيفتها الأولــى ، تجــاوز عــالم الحس ، والهروب من الواقع ، فى محاولة نسيان ، أو تجاوز ما نحن فيه وعليه ، وإن هؤلاء على والشيخ واضرابهما محظوظون ، لأن بوسعهم الفــرار متــى شــاءوا مــن أضلاع المستطيل ، والطواف فى أرجاء الدنيا !!

السبت ١٩٥٩/٣/٢١ . الساعة العاشرة صباحا

لم نكد ننتهي من إحتساء شاي الصباح حتى سمعنا صرير الباب الحديدية حامــل نبــأ إستدعائنا الفوري من رئيس اللجنة التحقيقية الخاصة بالطلبة ، تليّت الأسماء علينــا ، نــوري وأنا من بين أسماء الوجبة الاولى ، إرتدينا ثيابنا بسرعة مــضطربة وقبيــل مغــادرة القاعــة وضعت القيود في أيدينا وبرفقتنا خمسة جنود مسلحين، يتقدمنا مدوب اللجنة رجــل عــسكري برتبة نائب ضابط ، مشينا إثره لمسافة لاتقل عن مائتي متر إتجه بنا الى مبنــى صــغير يقــع جنوبي المعتقل ، أدخلنا حجرة عارية عديمة الاثاث، وأوصد بابها ،

أوصانا خالد علوان بأننا نورى وأنا مدعوان الى أكلة فريدة من نوعها بعد حين ، وهذا يعنى أن نمتنع عن تناول الفطور اليومى ، وننتظر (ريتما ينــضج الطبــيخ) ؟! إلتأمنــا حول صينية شريد تفوح منها رائحة التوابل الحارة شاركنا فيها فــضلاً عــن صــاحب الدعوة على مام ، ووهاب الكردى وشقيقة ابراهيم . وقال خالد "هذه وجبــة تراثيــة ، كانت تعد فى يوم من الأيام عروسى الوجبات ، إنها – محــروك إصــبعه" . .. ألــيس التفكير بمثل هذا النوع التراثى من الطعام محاولة رمزية ، لمعادل نفــس لا شــعورى للخروج من قهر السجن وإسترداد حرية الماضى ؟!

قبل الظهر

– حاولت أن أنشئ رسالة الى أمل ... فأخفقت فى كتابتها ، رغم محاولاتى الكثيــرة ، فأرجأت الأمر ... يبدو أن الكتابة الحقيقية تحتاج الى مزاج من نوع خاص !

– عاد ابن بو غوص طالب الطبيه معافى بعد أن رقد ثلاث ليال فى المستشفى .

المساء

فوجئنا عقب الإنتهاء من العشاء ، بتأليف فريق للعبة (المحيبس) ، من مناطق شتى الكرخ ، الأعظمية ، باب الشيخ ، الفضل ... إنضممت الى (الكرخ) .

إستغرقت اللعبة حوالى ثلاث ساعات ، فاز فى جولتها الأولى الكرخيون بعد عناء ومطاولة مع الفريق المنافس (الأعظمية) .

وقد أبدى إبراهيم الكردى مهارة نفسية عالية فى التقاط المحبس إلا إن رفاقه لم يمنحوه فرصة كافية ، وإلا فإن فوز الأعظمية على يديه كان محققاً .

أما فريقنا فقد لجأ الى إسلوب التوزيع ، فتمكن من تضليل الفريق المقابل .. وقد حاول خالد أبو دية أن يسترد (المحبس) بعد أن أقسم بشرف (الحياد الإيجابى) ؟!! أن (لا يبات) فى أيدى الأعظمية . إلا إن (المحبس) بات أكثر من جولة ، حتى نهض أبو النور وإنتزع المحبس .

مدت صحون البقلاوة والزلابية .. ورشح فريقنا للعب فى الليله التالية مع (الفضل) .. بعد أن تناولنا الحلوى ، أخذ على ماما ، بحث هواة الرياضية على إقامة جولة مصارعه ؟!!

على لا يهدأ ساعه واحدة فى مكان واحد ، لا تثبت له قدم ، ولا يسترخى جسده على فراش إلا لمام ، إنه فى حركة دائمة ، وحيوية متدفقة ، يثب مرة على الحبل ، وأخرى يمارس الألعاب السويدية ، ويبحث عمن يصارعه ، ... وقد يهدأ قليلاً ليلعب (الكونكان) ... ثم ينهض فجأة ليقوم بحركات بهلوانية كأن يضع رأسه على الأرض ويرفع ساقية فى الهواء بإستقامة شديدة .

أو يمشى على يديه ، أو يقوم بقلب جذعه مقلداً فى حركته (العقرب) . وكل هذا النشاط المتصل له معنى واحد هو مقاومة الفجر ، وإشاعه جو من المرح .. الى جوار ذلك كله فإن علياً لا يكف عن دعاياته وإن كان بعضها ثقيلاً لا يحتمل ..

الأحد ١٩٥٩/٣/٢٢

أصيب غالبية رواد القاعة بالإحباط والكآبة والوجوم إثر شائعة تسربت تزعم بأن (جمال عبدالناصر) أغتيل فى دمشق ؟!!!

.. والذي أتانا بالنبأ الأليم هو (مهدي قومية) ، وهو ينادى أخاه (علياً) بصوت مجروح:
(أويلاخ .. أبو خالد راح ..جمال عبد الناصر مات) ؟!!

.. نزل الخبر علينا كما الزلزلة ، فمادت أرض القاعة وإهتزت أركان المعتقل بـصرخة مدوية واحدة، وعلى الألسن والأفئدة كلمة الرفض المطلق : لا ؟!
إنغمر الجمع بالصمت والأسى ، وفاضت العيون بالدموع . هتف الرجـل العجـوز مـن أقصى القاعه منادياً : (.. أيها الرجال تماسكوا ، وإصبروا قـد يكـون الأمـر محـض شائعة، علينا أن نقف على حقيقة الخبر .)
ضاقت الصدور بالفاجعة فإنفجرت ولولة ونواحا ونحيبا ، صبّ خالد الحاوي جام غضبه على الاواني والصحون الخزفية فحولها هشيما متناثرا وحاول آخر أن يوقد النـار فـي الافرشة وكف خالد علوان يديه ، أما علي ماما فقد إختار مناطحة الجدران لـم يجـرؤ أحد من الاقتراب من سورة غضبه إلا بعد أن سال دمه وتراخت أوصاله .
عقد الرجل العجوز لقاء مع (المفوض) . جئ بـ(راديو) صغير الحجم والتقط صـوت هادرا آت من دمشق ، يحث فيه العرب على مواصلة النضال وتحمل المشاق من اجل الغد العربي ، اد إنه لا غيره ولا أحد سواه جمال عبدالناصر يخطب فى الشام ، فإنقلـب الحال في رمشة عين الى النقيض تماما من المآتم الى الاعراس .. تعالت الهتافـات ، وتوالى التصفيق ، وبدأت تهز الارض الهوسات ، هكذا بلمحـة واردة تبـدل الموقـف الدرامى من القنوط الى الإنشراح . فراقت الأمزجة ، وهدأت النفوس ، وساد المستطيل الفرح والمرح .
أقسم على ماما أن لا يدع أخاه يفلت من يده ، متوعداً بعقابه ، لم يطل الإنتظـار فقـد أطل مهدى ، وهو يلوح بيده من وراء النافذة ، ويصيح مبتهجا : (أبشركم أبـو خالـد بخير) ؟! وعندما همّ علي بتقريعه ، ولّى هارباً ..
- علمنا عبر (الترانزستور) بأن ثلة من الطيارين المشاركين فى حركة الشواف مثلـوا أمام محكمة الشعب المعروفة بـ(محكمة المهداوى) بـدأ فـصل آخـر مـن الاكتـراث والترقب .
- فى الليل يواصل صوت وهاب الكردي ، بث نغماته العذبة الشجية وهو يتنقـل بـين المقامات البغدادية الأصيلة وعند الختام يستحث الجميع أن يرددوا وراءه : للناصرية .. للناصرية .. تعطش وشربك مايّ بجفوف إيديه ..
- .. يطوف وجه أمل ، يقترب .. ثم يتناءى . فيشتد التوق .الشوق .
الأثنين ١٩٥٩/٣/٢٣

نأت بى التأملات ، الى أيام الطفولة ، وأنا أمرح جذلاً بفرارة الهـواء ، تطيـر بـي ، وأدور بها فى أزقة الفحامة ودروبها .

– أو أحلق إثر طائرة الورق الملّونة (أم الشناشيل) ، ترود الفضاءات (منجمة) ، وعلى السطح المجاور ، ينادينى ربيع المشمش ، إن كنت راغباً فى خوض معركة (الكصاص) فأجيبه على الفور: بلى ، وتبتدئ أشواق المغامرة حارة مفعمة بحماسة التحدي البهيج، .. تتوالى الصور غائمة بعيدة ، تختلط الألوان ، .. سحابة تمطر قصـصاً وحكايـات ، عند قمر الكرخ ، وشاطئ خضر الياس ، نتراشق بالماء ، نمرح فى (الكيش الحـلاوي) ، .. تطوينا روجات (الشط) ، فنلوذ بـ (الجرف) كيلا تأخذنا (السويرة) .. نبحث عـن (تمرات) فى جيب الدشداشة حين نجوع .. أقرأ فى رحبات ملا حميـد (قـد سـمع) .. يوبخني (الخلفة) ، جراء (الوقف) .. يصرخ فى وجهى (حرّك) الكلمات ..

ترى لم نلوذ عند وجع الروح بـ (الماضي) ؟!

ولماذا ننكفئ على أيامنا الغاربات ؟!

لنتخطى إيلام الحبس وعذاب الفراق ؟!

أم لان زمن الطفولة هو زمن الحرية ، المتدفقة بخيارات فسيحة لانظير لها في أيامنـا اللاحقة ، وهي السبيل المتاح في المحنة الراهنة ، للتغاضي عن رقعة الحشر الموصدة

– يهزنى نوري هزاً متتابعاً : أين وصلت ؟! فلا أجد إلا الصمت ! ، أسرح مرة أخرى ، فأكاد أسمع همسات أمل ، ونحن معاً تحت ظلال حدائق الصالحية ..

– إستحدثت لجنة القاعة صندوقاً مالياً لرعاية ودعم (المعوزين) من زملائنـا ، ولعـل هذه المبادرة إحدى أروع الفضائل ، فثمة عدد من أولياء إمور العوائل ، إنقطع موردهم اليومى جراء الإعتقال ، أغلبهم حرفيون وعمال ... وتدافع الجمع وإستجابوا بأريحيـة عراقية معهودة .

معهودة لدى العراقيين في مثل هذه المواقف ، وفضيلة الفـضائل ، أن جـرى توزيـع الإعانات بـ (الكتمان) من دون إذاعة أو إعلان .

– وقع فى صباح اليوم يديّ كتاب توفيق الحكيم (يوميات نائب فى الأريـاف) وجدتـه مشوقاً وممتعاً وقد أتممت قراءته قبيل العشاء .

قررت معاودة قراءة (اللامنتمي) ، فالنص فيه من الكثافة الفكرية مـا يتخطـي حـدود المستطيل الذى نقيم بين أضلاعه ، وقد أعاننى خالد ناجي على توضـيح الكثيـر مـن

تساؤلاتى ، ومن سجايا طالب الحقوق، ولعه اللامتناهي بالقراءة والإطلاع ، ومنذ اليوم التالى لوصولى ونحن فى ألفة حميمة من التواصل في الحوار وتبادل الآراء ، والكتب ، ومن مأثره المحببة ، التلقائية ، والتواضع رغم فروقات السن، ومستوى التعليم.

الثلاثاء ١٩٥٩/٣/٢٤

ما برح نورى شفيق منكباً على الروايات البوليسية متنقلا بين قطار أجاثا كرستي الشرق السريع ، ومغامرات اللص الظريف آرسين لوبين التي إبتدع نصوصها الكاتب الفرنسي (موريس لبلان١٨٤٦ -١٩٤١) وعن سبب ولعه بهذا اللون من الأدب ، وإنتهى الحوار مع الفتى نوري الى المحددات التالية :

- (الحركة منطق الوجود) ، وهنا يكمن السر شغف السفر ، البحث ، الدهشة ، الكشف عن الحقائق الخبيئة في عالم الصيرورة الذي يضع بين أيدينا وأمام أبصارنا متغيرات هائلة إلا أننا لانشعربها او تلفت انظارنا بسبب الانشغالات اليومية البليدة ، أما آرسين لوبين الذي كان لصا مرحا فإنه نموذج للصعلوك النبيل في تراثنا العربي الاسلامي ، لانه كان عونا للفقراء ونصيرا للضعفاء في عالم ملئ بالشبهات، دائما يظهر عند الإقتضاء ووجوده يبدو حتميا ، شبيه بالمخلص في زمن تراكم الظلم وتعم الحياة المخاطر والفوضى .

- وهذا الطراز من الأدب يمتلئ بمتواليات من اللاتوقع قد تكون منتظمة أو مضطربة، من شأنها أن تجعل العقل يقظاً على الدوام فى ملاحقة الأحداث .. وأن النصوص كتبت بفطنة شديدة ، تلزم القارئ أن يجد عقله ويجتهد فى عمليات متتابعة من الإستدلال ، والإستنتاج ، وإستنباط الحلول ، وإبتكار المعالجات.

- وجدت فى تعليلات أبي النور منطقاً صائباً .. أما عزوفه عن الأدب القصصى العربي ففى رأيه بأن (عبدالملك نوري) ، و(نجيب محظوظ) ، هما النجمان الثاقبان في سماء الوطن العربي حتى الآن ، فالادب العربي في القصة والرواية غالبا مايعتمد الطابع الوصفي الفضفاض ، لكنه لا يثير قضية حقيقية .. فالسمة الغالبة عليه هي المصالحة مع الواقع وتجاهل النقائض وتسطيح الحلول بمصباح علاء الدين ، وحسب قراءاته لفترات مديدة وجد الكثير منه مصنوعا، بطيئاً ، متثاقلاً ، يدرك القارئ نهايات النص ويتعرف على النتيجة ، بمجرد قراءة الصفحات الأولى ، مما ينفي عنه صفة الإبداع .

– تتسق رؤية الصديق الفلسفية الى الحياة ، بذات المنهج الحـر الـذى يـأبى قبـول المقولات المتداولة ، أو النتائج المعدة سلفاً ، فيؤمن بأن التجربـة الإبداعيـة للـشعر الجاهلي ، تتميز بمعطياتها الباذخة في المعاني والدلالات والوعي الفصيح بـالوجود ، تحث قصائدها الإنسان على العمل ، وذم الكـسل والرتابـة ، وتـدعو الـى المغـامرة ومقارعة الإنتظار ، وبدون هذا التوق الشجاع ، فإن الإنسان يسقط فى الغيبة ، ويصبح الوجود محض رقم أعمى مجرد ...

– لذلك ظل أبو النور يبحث عن الإمتلاء السعيد ، وعن مسرات واحدة تلـي أخـرى ، حتى وإن إنطفأت الحياة فى لحظة ما ، فليس مهمـاً أو ضـرورياً عنـده إلا مواصـلة مغامرة الغبطة ، قد يظفر بومضة أنس أو برشفة مـن شـراب ، أو لقـاء المحبـوب والتواصل معه بعد لوعة الغياب . وقد تجئ من خلال إشراقة فرح ، لإنهـا تعنـي فـى المبتدأ والمنتهى : الحرية ، بكل ألوانها وظلالها ، لأننا لا نـستطيع أن نكـون بـشراً أسوياء إلا بها ، وهى وحدها القيمة العليا التي تليق بالإنسان فـي الحيـاة ، ولأجلهـا يعيش ويحيا ويحلم الكائن البشري ، وليأت الموت أنّى شاء وفى أى وقت يحل ، فسيان عنده ، إذ لن يكون الرحيل الأبدي ، إلا جائزة النهاية لمغـامرة حتميـة لـيس بوسـع الإنسان إلا أن يقوم بها .

– عندما أذكره الآن ، وأستذكر آراءه وسجاياه يملؤنى الحزن وتفيض بقلبـى ذكـرى نورى شفيق ، الذى أطفأت قلبه المفعم بأشواق الحياة ، عربة مجنونة فـى ليـل حـيّ الخضراء ، ولم يتعد عمره الثلاثين عاماً .

– شرع عصر اليوم باب القاعة . تسلّل تيار بارد مفاجئ نفذ الى عظامنا .. (هيا لمـن يريد أن يغتسل أو يغسل ملابسه فليسرع ، فقد تدفقت المياه الساخنة الـى الحمـامين ، أمامكم ساعتان من الآن) . هكذا جاء البلاغ على لسان العريف سلطان .

– تتجدد الإنشغالات فى المساء ، التسلية بأنواعها .. الدومينو ، الكونكان ، النرد ، فى هذه الزاوية ، أحاديث ناعمة عن (كواعب أترابا).. ثمة من يصغى بإهتمام الى ما يبثه الراديو الصغير من أخبار ...

– الرجل العجوز يعكف على كتابة يومياته في دفتره الأنيق .

– شاب من (باب الشيخ) إسمه كريم يطفح وجهه بشرا يطوف القاعة بدعاباته الخفيفة ، وله موهبة فنية فى محاكاة الحيوانـــات ، وتقليــد الأصــوات والحركــات ...تتنــوع التفاصيل وتتسع أيضاً لهموم المستطيل وساكنيه .

– محمد من فضوة عرب ، قهوجى ، منذ جئنا . والى أن غادرنا وهو النـــائم الـدائم ، الغائب بين طيات الفراش ، فلا يصحو إلا ليأكل أو يغتسل ثم يتـــدثر مجــدداً ، فيخلــد للنوم مرة أخرى .

عندما قيل له بأن الرقاد الطويل يضعف مقاومة الجسد ويؤدى الى إعتلال صحته ، وإن عليه أن ينشط قواه ، كان يجيب الناصحين ! (لن أنهض إلا الى الدار .. بعد أن إنقطع رجائى بالإفراج)؟!.

لعل الصلة الحميمة بين الجموع الأتية من جهات بغداد الأربــع وأطرافهــا ، أوجــدت مجتمعاً متآلفاً ، فأرهفت الحس لدينا ، وجعلت البعض يستشعر عبء الخروج المرتقــب ، فعندما يتم الإفراج عن عدد من المعتقلين ، فإن مشهد الوداع يبدو مؤثراً ، فقد لمحت أن بعض الرجال الأشداء ، لا يستطيعون منع أنفسهم من البكاء ، .. ونحمل العائــدين الى الحرية ، الحب والرسائل والتمنيات ، وعداً باللقاء عقب إطلاق سراحنا من قبــضة المستطيل .

هوامش الثلاثاء ١٩٥٩/٣/٢٤ .

– مرونة الآمر ودماثة العريف سلطان ، خففت الكثير من العناء ، فقد آلت العلاقة مــع الإدارة والشرطة الى ألفة إنسانية .

– عددنا الآن يربو على (١٦٨) معتقلاً ، وهذا يعنى (١٦٨) شخصية ، لكــل واحــدة منها همومها وأشواقها ، مزاجها وطبعها ورؤيتها ، ... ورغــم الفــوارق التعليميــة والثقافية ، فإن (التكيف) كان كفيلاً بإحتواء ردود الفعل ، وإمتصاص الغضب ، وإظهار قدر كبير من السماحة ، أو إلتماس الأعذار .

– عادل البياتى ، فنان تشكيلى ، وإن كان ما يزال طالباً فى معهــد الفنــون الجميلــة ، ينتقل بين التخطيط وصنع التشكيلات ، فيقضى أوقاته فى إعداد نماذج هلاميــة فاقــدة الملامح والقسمات ... وجذوع بلا رقاب أو رؤوس . وعندما نسأله لم الإصــرار علــى هذا الأسلوب ؟! ... يجيب (.. إذا فقد الإنسان حريته يصبح كالذبيح بلا رأس)؟!

– أقام حازم الأتي من (عقد الكرد) بباب الشيخ مشغلاً صغيراً ينسج من خيوط الصوف المتساقطة من الأفرشة والبطانيات فيحولها الى لوحات جميلة بهية الخطوط بحجم كـف اليد ، نحن نقف أمام عمل إبداعى مذهل .

– من اليوسفية نزل بيننا معلم إبتدائية فى الأربعين من عمره نحيف البنيـة . بـشرته حنطية غامقة ، يصنع طيوراً وفراشات من شطائر خشب رقيق وورق ، وينتظر الألوان لإنجاز مخلوقاته الجميلة .

– تتسع دائرة الفنون لتشمل الذائقة السمعية ، فثمة حرفيون فى أداء المقامات ، ولـم يك وهاب الكردى إلا واحداً من أربعة أخرين ، بعد أن ظهروا موهبتهم تحت الإلحـاح ، فتخطوا عتبة التردد ، وساهموا في إحياء بعض ليالينا الباردة .

– أما فن المربع ، فإن المستطيل يكاد يتحول بكاملة الى (كورس . وقد برز إسـماعيل أبو حقى من بني سعيد) فى هذا النوع من الأداء ، ... ومن ميزات أبى الحق الآخرى ، القدرة على الإرتجال ، وتأليف الأزجال المرحة .

– ولعل أقرب أشكال الغناء وأحبها الى نفسي هي (العتابة) بعموم أغراضها : الموقـف البطولي ، السيرة ندية ، تجرية إنسانية . وأخص مزاياها التلقائية الصادقة ، عذوبـة الصورة الشعرية، الحس الراقي ، والعتابة من أقرب الفنون الى الحياة ، وأشدها صـلة بالبيئة الإجتماعية، وعلى وجه التحديد – شعر عبدالله الفاضل ... وينبثق صوت المغني بأدائه الجميل دون حث أو طلب منا ، ولا تزال ظلال صوت محمود طه الشجية تتـردد فى قلبى حتى الآن .

فإذا غنّى محمود الطالب الأكاديمى بكلية الآداب . فإنه يحررني علـى الفـور مـن أى إهتمام أخر ، فأكفّ عن الطعام ، أو أتوقف عن القراءة ، لأملأ روحـي بتلـك النغمـة البدوية التى تسحرنى بأدائها ومعانيها .

– عقب الغذاء ، تسترخي القاعة ، فنأوى الى الفراش قد نغفو أو ننشغل بالقراءة ، أو نواصل الثرثرة ولا يستمر الهدوء إلا نسبياً ، .. فقد أذن موعد صلاة العصر .

– يستعاد (شاي العصر) كما لو أن دربونة زنكوٌ فى أربعينيـات وخمـسينيات القـرن الماضي ، نلتئم حول(المنقلة) .. فتملأ الأكواب و (الاستكانات) معطرة بالهيل تتـسامر بأحاديث نديّة .

أكاد أرى وجوهاً تأتي الآن ، تعبر الزمن ، الحاجة حمدة المحنـــه ، وحفـصة ، وأمـــي يشربن إستكان الشاي ذي السعفه الذهبية ، يستقر على (ماعون) صــغير أزرق تحلّيـــه صورة فتاة غائمة .. ينتصب(القوري) الملوّن مزدهراً .. ترشف الأمهات الشاي بتــؤده وبطء .. يقضمن(لفات) الرياحين والنعناع ، وكعك (السيّد)..

جذلات يفضّن سعادة وقناعة ورضى ، نأتى إليهن وأنـــدادى مـــن صـــبْيّة الدربونـــة ، فتناولنى أمي (شاي العروس) .. ثم نعاوّد اللعب ، نعدو ، نثـــبّ ، أو نمـــضي صـــوب الشط.

الأربعاء ١٩٥٩/٣/٢٥ .

إنطباعات ذاتية .

لم أتخلّ عن عادة إتبعتها منذ الصف السادس الإبتدائى ، وأنا أحاول أن أحرر عدداً من الملاحظات ، واليوميات وأسجل بعض الوقائع والحوادث ، بـــصيغة خـــواطر ، و ثمـــة الكثير من الأوراق والدفاتر التى عنيت بها ، فى مكتبتي البيتيـــة المتواضـــعة ، منهـــا الذاتى الخاص (تأملات) ، (رسائل شخصية) و (عاطفية) ومحاولات أدبية (تجريبية) .

.. ولعل الأهم من هذا كله ، (دفتر اليوميات) عندما شرعت الكتابـــة فيـــه منـــذ أيـــام (الجعفرية الإبتدائية) ، ولا أدرى الآن كيف أصفّ خيبتي واحبـــاطي وآلامـــي ، خبـــر إحراق مكتبتي الخاصة من قبل عمة أمى ، التى عمدت الى إلقاء الأوراق والكتب حتى الصور في جوف التنور ، حتى أتت النار على كل مدخراتي ، فتحولت رسائل الحب الى محض رماد . وقد بررت أمى الفعل الشنيع لعمتها ، بأنها بادرت مـــن تلقـــاء نفـــسها عشية سماعها نبأ إعتقالى مساء يوم ١٩٥٩/٣/١٥ فإنقضت على الكتـــب والأوراق ، تمزقها ورقة ورقة وتلقى بها فى التنور الموقد ، إتقاء لشرّ الشرطة ، خشية أن يجدوا بين محتويات المكتبة ورقة أو كلمة ، منشور ، يمـــس هيبـــة الحكومـــة ، فتتـــضاعف المسؤولية ويعم البلاء.

.. أول الرفوف مجلة (السندباد) بأعداد كثيرة متسلسلة ، روايات الكيلانى ، و(الجيب) ، والهلال .. ومقتنيات أخرى ، المنفلوطى ، جبران ، حافظ ابراهيم ، ذو النون أيـــوب ، عبدالملك نورى ، الخياط ، إدمون صبري ، عبدالحق فاضل .. الى جـــوار مجموعـــات نجيب محفوظ ، إحسان عبدالقدوس . السباعي .توفيق الحكيم .وأعمال أعمدة الروايـــة الروسية ..

.. أستذكر الآن اللحظة مكاناً وزماناً ، التى إقتنيت كل كتاب فيها ، وأعـــرف تفاصـــيل المناخ النفسي ، لكل ورقة حررتها ، إنها جزء من بنائي النفسي.
إشتدّ بى الضيق . ولذت بنفسي وآثرت الرقاد .. حاول نورى إيقاظى مرة ، ومرة ، لـــم يك بوسعي تقبل ما جرى ، كان من الصعب عليّ تجـــاوز (المحنـــة) .. ووجـــدت أن لا سبيل أمامى إلا إفراغ شحنة الغضب الذي يعتمل فى صدري ، فأنشأت رسالتين الأولـــى الى أبى والثانية الى أمل .
أبـــى العزيـــز .
سلاماً وأشواقاً
اليوم فقط علمت بنبأ الكارثة . بعد أن ذهبت النار بكل مقتنيات مكتبى (الدفاتر والأوراق والصور) ولم يعد بحوزتي أيّ أثر منها ، إلا مرارة الخيبة ، جراء الفعل الشنيع الـــذى أقدمت عليه عمة أمي ، وإنى لأتساءل من أجاز لهذه المرأة القيام بهذا (الفعل الشنيع) وكيف سولت لها نفسها أن تتجاوز على حق لا يقع في مسؤوليتها ..
فكيف يحدث هذا ؟ ومن سمح لها أن تقوم بما قامت به ؟
إذا كان الذي جرى بدون علمك ، ودون مشورة من أمى فمن هو المسؤول ؟!
كيف تسنى لعائشة أن تجعل من كل هذه الكتب والمجلات والأوراق حطباً ؟!
سلامى ومحبتى ، وأقبل يديك الكريمتين .
البارة أمـــل
أضمك الى قلبي .
لاأدري : كيف ، ومتى ، وأين ، ستقرئين هذه الكلمات ؟!
ربما علمت أو لم تعلمى بعد ، أين أنا الآن ! لعل إحتجابى خلال الأيام العشرة الماضية جعلك تسألين : أين أنا الآن ؟! قد تكون صديقتك وزميلتك (وفية) جارتنا قد أسرّتك بما آل إليه حالي . أنا فى الوقت الحاضر فى (شرطة السيارة) . خلف السدرة بعد أن تـــم إقتيادى من ثانوية الكرخ ، الى مركز شرطة (الجعيفر) وتنقلت بين أكثر مـــن مكـــان ، وإستقر بى الحال هنا .
ليس بوسعى أن أكتم أشواقي العظيمة إليك ، فقد ضاعف النأيّ عنك حرارتها ، بعـــد أن عودت عيني على رؤيتك صباح كل يوم . لا يشغلنى شئ جـــدي إلا أنـــت حتـــى إيـــلام الوقوع فى (القيد) تحت وطأة الحياة فى مثل هذا المستطيل الموصد ، أمر يمكن إحتماله

.. ولم يعد يؤثر فى تماسكى وتفاؤلى بدأت أعتاد الحدود الضيقة ، أحاول التكيـف فـى ظل الشروط المقيدة للحركة والإمتداد .. طالما كـان العقـل طليقـاً ، والإرادة تحـتفظ بحرارتها حتى اللحظة فهى قادرة أن تنفلت من أسر المكان .

قادرة على تخطى الأسر الى حيث الأمكنه الوسيعه والأزمنة المفتوحة على الغد .

لا تجزعى . إننى لا أحاول إبتداع بطولة ما ، ولست ميالاً الى دور سياسى ، إذ سـيبدو كما هو الآن قصير وجزئى ، وغير ذى جدوى ، بإستثناء مـوقفى الفكـرى ، بوصـفه إحتراماً للذات .

لم أسع يوماً الى بطولة متوهمة ، ولم أختر أن ألعب أى دور ، إلا موقفى ألفكـرى ... قد تمنحنى التجربة شيئاً حقيقياً يؤول الى معرفة النفس . ثمة أخلاط متنوعة ، العقـول ، النفوس ، الطباع ، مستويات دراسية وثقافية ورصيد من الأفكار والمواقف والرؤى ، مما لم أعهده من قبل .

لعل من النتائج الأولية التى يمكن للمرء أن يقف عليها هنا ، دونما عناء ، هى سـجايا الصحبة ... أحاول أن أهرب من واقعـة أليمـة ، علمـت بهـا ضـحى هـذا اليـوم ١٩٥٩/٣/٢٥ ، إذ بادرت عمة أمى فور سماعها نبأ إعتقالى إلى إلقاء كتبى وأوراقى فى التنور ، ومن بين المقتنيات التى أطعمتها المرأة العجوز النار رسائلك كلها ، وهـى كل ما أعتز به وأحرص عليه ، لقد كانت تظن بـ(نيه طيبة) أنها تفعل خيراً ، وتمنـع شراً ، وإن العاقبة ستكون لأهلى ولى ، طمأنينه وأمناً ، إعتقاداً منها بأن كل ما تحتويه مكتبتى الصغيرة من مجلات وكتب وأوراق هى (ممنوعات) يحظر تـداولها ، يحاسـب عليها القانون ، فعمدت الى إتلاف كل ما يمكن أن يتخذ دليلاً ضدى فـى حـال تعـرض دارنا الى المداهمة والتفتيش من الشرطة ورجال الأمن .

هكذا ترين ما حل بي وبذاكرتي وقلبي .. كيف أعيد الى الوجود كلماتك ، التى تعد حياة مستمرة على مدى سنين من أعمارنا ؟! سلاماً لك ولقلبك .

الخميس ١٩٥٩/٣/٢٦

قبيل الظهر . أطلّ أبى برفقة العم أمين والخال عبود حاملاً الطيبات ، طعامـاً وفاكهـة وحلوى ، فرحاً مستبشراً ، وضمني الى صدره وهو يسألني عن صـحتي وأحـوالي ، جلسنا على عتبة المبنى قال ثمة وعود كثيرة مطمئنة لإطلاق سراحى دونمـا محاكمـة والإكتفاء بفترة موقوفيتي وإن عدداً من المعارف والأصدقاء يواصلون الـسعي لـدى

أولي الأمر من المسؤولين ، وإن من بين السعاة محام يبذل قصارى جهده للتعجيل فى أمر إنهاء إحتجازى .

تحدثنا أيضاً عن مصيري الدراسي ، بعد أن أصدرت ثانوية الكرخ قراراً بفصلى لمدة أسبوعين ، كما لم يعد بوسعى الإستمرار فى نفس المدرسة ، طالما بقيت الأجواء فيها على حالها من الفوضى والإضطراب . وإن الحل الأمثل الذى يبعدنى عن ذلك كله ، هو أن أسافر الى (القرية) وأنقل دراستي هناك ، حتى لا ألاحق مرة أخرى ، وعدني أبي خيراً حال خروجى من المعتقل ..

جاءتنا أخبار الظهيرة تروى : بأن عدداً كبير من المواطنين ، قد زج بجموعهم فى المعتقلات ، وإن ردهات إضافية فتحت أبوابها وراء السدة .. وإن الكثيرين ، إقتيدوا الى لجان تحقيقية .. وإن قسماً من هؤلاء لم يعودوا ..

إن مهدى (ابن عمى) هرب من قبضه الأمن ، وأختفى ، ولم يعد الى البيت أو الخان .. أما هادى فقد تم إحتجازه فى إحدى الثكنات العسكرية .. وإن الحياة أصبحت لا تطاق ، فاللجان (الثورية) تواصل عمليات (التطهير) الدموى الذى إنتقل من بغداد الى المدن الأخرى .. وإن أحداً من الناس لم يعد يأمن على حياته فى يومه وغده ....

جاء فى الأخبار الطوال على لسان الزائرين والشرطة ، بأن صخب التظاهرات يعم الشوارع ليلاً ونهاراً .. وإنتشرت بين الناس الفوضى .. وإشتدت المخاوف ، ولا أحد يعلم أو يدرى ، كيف ومتى تعود الأمور الى طبيعتها ، فقد إختلطت الأشياء خلطاً عجيباً .

العصر

بفضل نورى تعلمت لأول مرة فى حياتى لعبة (النرد) بعد أن أمضى ساعة من الزمن وهو يشرح قواعد اللعبة ، وقد وجدتها مسلية للغاية وستظل الأثيرة دائماً ، ولم أتعلم غيرها في حياتي ..

علمنا بأن ثلاثة من الزملاء يتخذون من النرد وسيلة للمقامرة ، مما أغضب الرجل العجوز الذى أعلن غاضباً وهو يحاول إيصال تحذيره لمن يعنيهم الأمر ، بأن مثل هذا السلوك يعد إثماً كبيراً وعيباً فى حقنا جميعاً ، فلا يليق بأصحاب المبادئ ، أن يلجأوا الى المقامرة .. وإنه بإسم الموجودين يحرم أى نوع من الميسر .. وإن عقوبة من يقترف لعبة القمار ، ستكون المقاطعة والعزل التأمين .

ضجت القاعة بالتصفيق إقراراً وإجماعاً . إثر ذلك بادر الزملاء الثلاثــة ، الــى تقــديم إعتذارهم ، واعادوا المبالغ فيما بينهم .

جاء فى تعقيب الشيخ (إنى أحيّ الثلاثة الذين أخطاؤوا فاستتابوا دون أن يمــضى بنــا الوقت طويلاً .. وأحيّ أستاذنا الذي ما إن سمع بالواقعة حتــى قــال الكلمــة الحــق ، فالفطرة والتربية والدين ، وتقاليدنا هى ثروتنا ومآلنا ، وهى الطريق الذى إن إلتزمنــا به لا يضل أحداً أفلا نفكر ونتدبر الفرق بين المباح والممنــوع طبقــاً لقواعــد الــدين وأصول الإيمان ، عندها لن يقدم المرء على وضع خطوته فى غير المكان الصحيح لها.

المساء

أثناء إنعقاد ندوة سياسية ، تولى الحديث فيها خالد ناجي ، ضج باب القاعة بعنف شديد مقترناً بصيحة مدوية رئيس لجنة القاعة ، قائلاً : لقد إغتيل اليوم ثلاثة من شبابنا فــى منطقة الفضل .. وإن صدامات مسلحة حدثت أمس فى باب الشيخ ..

صوت جريح : الله أكبر

فنهض الشيخ ياسين من فراشه يهتف ويومئ بيديه : هيا لنصلّ صلاة الغائب . تراصت الصفوف بوقار وخيم الخشوع على الجموع ، عقب إنتهاء الصلاة، ألقى الشيخ خطبــة موجزة عن ثواب الشهداء في الدار الاخرى ، وحري بالمؤمنين من ذوي الــشهداء أن يفرحوا بما أعد لابننائهم في جنات النعيم التي لايفوز بمقامها إلا ذو حظ عظيم فطوبى للشهداء. نعالت الهتافات والهوسات بدأت زاوية الأعظمية تردد وراء وهاب الكــردى ياظلام السجن خيم إننا نهوى الظلاما ..

وتعاقب الخطباء والشعراء كل يحاول التعبير عن الموقف بطريقته الخاصة ، إختلطــت الكلمات وتداخلت الحناجر ..

صوت يحاول إستعادة الواقعة ، وآخر يدعو للتأر من القتلة . وصوت ثالث يختنق مــن شدة الإنفعال والعبرات ويتهدج صوته .

– جمال المصلاوي (السائق) وحده الذى كان فى الغيبة عما يجرى من حوله ، يقــف الى جوارى مبهوتاً ، أمسك بيدى وسألنى : (شكو .. اشصار.. راح يطلعونــا) ؟! ولا أدرى بم أجبته ، بعد إن إعتدنا منه على مفارقات عجيبة بين حين وأخر . من ذلك إنــه سألنا مرة ونحن نتناول وجبة العشاء التقليدية : (شنو اليوم أكو عزيمة) ؟!

ولا يملك أحدنا إلا الإشفاق عليه ، .. هكذا بقيّ جمال طوال فترة إقامتنا يحيا بنصف ذاكرة ، وبنصف وعيّ ، فلا يكاد يضيق أو يسترد وعيّه حتى يغيب عن نفسه ، وينأى عمن حوله .

– المنقولات الآتية من خارج المعتقل ، تقول : السجناء محظوظون لأنهم فى الأقل آمنون ، وقد يتعرضون لإيذاء لجان التحقيق ، لكنهم فى النهاية لن يموتوا أو يغيبوا .. في حين أصبح العنف الدموي نهجا سائدا في العاصمة والمدن الاخرى ينتشر كالوباء ، يمتد كالأخطبوط الى كل مكان ، وينال جميع الفئات والأعمار ، فالخارج مفقود والعائد الى أهله (سالماً) محظوظ ، فقد زاد عمره يوماً .

لم يعد بوسع الحكومة التى تورط قطاع من مؤسساتها فى صنع العنف أو ترويجه قادرة على وضع حد لسلطة القمع التى يمكن أن يتولاها تلميذ مدرسة . فيروع زملاءه ومعلميه .. بعد أن تعددت مراكز القوى ، وتضاعف نفوذها فى دواوين الحكومة ، والمصانع ، والمزارع ، والشوارع ، فامتلأت السجون بما رحبت وضاقت على الناس المعتقلات .. هكذا كانت صورة بغداد طبقاً للمنقولات والمرويات .. والشهود . ترى متى يستيقظ القانون ، والى أيّ حد تمضي الحكومة في لعبة الشعارات . هل ثمة أمل بأن تنفتح البصيرة على المواجع ، وتستعيد السلطة (الوطن) التائه ، فتوقف النزيف فى روحه وجسده ؟!

.. من أوجد كل هذا العذاب ؟!

لا أحد يريد أن يفهم ما جرى ويجرى من تشويه الفكر والتحريفية التي ألصقت بالماركسية حتى اصبحت رداء جاهزال .. الكل ولج نفق الذات والأساطير ، هستريا شبه عامة ، غاب فيها العقل ، فجرفت معها العامل والفلاح والشرطى والتلميذ والمثقف ، الآباء والبنين .. كل شرائح الحياه والمجتمع ، تردد الكلام ذاته وتعيد الشعارات نفسها .. من أين نزل على بلادنا كل هذا البلاء المستطير ؟ من التزمت ، والبغضاء والحقد المرضي ، الذي جعل من إزهاق أرواح المواطنين شعارا ونشيدا يردده العابثون والاشقياء بأمن الوطن والمواطن .

من أى الأبواب دخل علينا كل هذا الغلّ الذى تفيض به القلوب والصدور معاً ؟ هل بوسع العقل أن يستوعب فجيعة الموصل ومالحق بأهل مدينة الربيعين من القتل والدمار؟! ، وهاهي الكوارث تتلاحق من مدينة الى مدينة ومن بيت لبيت تطرق بنادقها

أبواب العراق من أقصاه الى أقصاه فيقتل الأخ أخاه بدم بارد ، لا لسبب إلا لأنه إختلف معه فى رأيه ؟! أو رفض الانصياع لابتزاز القتلة !! هل بوسع الإنسان أن يتصور أن تكون الألوان المجرده (الأحمر ، الأخضر) سبباً كافياً لإزهاق روح ، أو مسوغاً لإنزال الموت ، وإقتلاع العيون والأكباد ؟!

من الذى جرّ شعباً عمره بإمتداد الكون ، من إستدرج البسطاء ، الى هذا الخراب الذميم فأطفأ أبجدية المحبة ، والمودة ، الدفء ، الحنين ، سجايا إبن الرافدين ؟! .. أصبح الكل أقساماً ، والأقسام أجزاءاً ، والجزء قطرات دم متناثرة متباعده ، كل قطرة منها تتحين للإنقضاض على الأخرى ؟!

اليدان تشتبكان .. الأصابع تتقاطع ، حتى بدت إن كل سلمة تحاول إنتزاع الأخرى ، تجتث جذورها ، ما الذى يحدث ؟! لم تعد ثمة من حرمات ، البيت الواحد ينقسم على أبنائه ، الجار يناهض جاره ، والقتله الباحثون عن الدم يجوبون الطرقات .

هل هى مسؤولية قائد الدولة ورمز السلطة ؟! أم الأعوان والمريدون ؟!

أم قادة الرأى والمثقفون ؟! أين البيت . الأم . الأب ؟! أين الدرسة . المعلم . الكتاب ؟! من المسؤول ؟! الحكومة ، أم الشعب ، أم الأحزاب ، أم البيت ، أم المدرسة ؟! أم (العسكريون) ، الذين قادوا الدبابات صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

الذين لم يحسنوا إدارة البلاد .. نزلوا من (الدبابة) ، فالتقطوا الميكرفون ! .. فحولوا العراق الى معسكر ؟! لا أملك إلا الأسئلة . فليس من حق أحد أن يزيح التأريخ ، ويقوم مقامه . فيطلق الأحكام ويختم القول بالنتائج . .. السؤال الذى يظل يدور فى أفق العقل هو كيف تم بعجالة متناهية ، منذ الأيام الأولى لـ ١٤ تموز إستبدال قيم المجتمع من المحبة والشيمة والنخوة والحنية والبسالة ، بسلسلة فظة من سلوكيات لم نعهدها من قبل . حين يصبح الموت سوقاً رائجة ، لردود فعل إبتدائية ، وثارات فى غاية السذاجة فتلوث سمعة الإنسان والأوطان ؟

الجمعه ١٩٥٩/٣/٢٧ .

أقام عادل البياتى معرضاً هو الأول من نوعه ، فقد فاجأنا بأعماله الرائعه ، ونماذجه المدهشة ، التى وضعها فوق (بطانية) فى قلب القاعة ، تشكيلات أخاذه منها : حصان نافر ، رجل عجوز محدودب الظهر يتكئ على عصاه ، طفل يدحرج دولاباً ، إمرأة تمسك بمغزل ، بائعة اللبن الرائب (العلابة) ، بائع الفرارات ..

المفاجأة الكبرى أن المادة الخام التى صنع منها البياتي هـذه الكوكبـة العجيبـة مـن مخلوقاته ، كانت عبارة عن (عجينة) الصمون ، وقد صفقنا لهذه التظـاهرة الفنيـة ، التى جعلتنا نتحدث عنها طوال اليوم ، وعن الموهبة المتوهجة فـى تـصميم وتنفيـذ الأعمال بهذه الدقة الحاذقة .. لعل الشيخ ياسين وحده الذى إنفرد برأيه ، فقد أبـى أن يتفرج ، أو يلتفت الى المعرض ، زمّ شفتيه متبرماً ، وهو يتمتم (أصـنام) ؟!! إنـا لله وإنا إليه راجعون ، وفى يوم الجمعة ؟!!

هوامش الجمعة :

- الزحام يشتد على الحمام ..

- مشادة كادت تصل الى الأيدى . إنْفضّت تلقائياً قبل أن يتدخل الآخرون .

- جبارأحمد من سوق حماده يعمل بصفة نجار فى مصفى الدورة ، يمضي ساعة مـن النهار يكرسها فى تتبع الشعيرات البيضاء فى وجهه ، فيلتقطها بـ(المنقاش) ، مولـع فى تحديد (لحيته) بالوسيلة ذاتها ، يستعين على العملية اليومية بمـرآة (مكبـرة) .. وهو أفضل من يجيد لعبة النرد .

- نورى شفيق جاء ترتيبه الثالث بعد التصفيات النهائية بـ(النرد) .

السبت ١٩٥٩/٣/٢٨ - بادئة الضحى

- أعلن العجوز مغتبطاً ، الجمل القصار الأتية : أيها الاخوة الاعزاء إستبشروا خيـرا ، إرتقبوا خبراً ساراً .. فالفرج بات قريبا ؟! .

في البدء سادت القاعة همهمة سرعان ما تحولت الى أصوات مختلطـة ، فـضجيج .. إلتأم الجمع حول أبى سامى وأطنا به ، نستطلع منه معنى الخبر ، ونلتمـسه معرفـة التفاصيل الاخرى ؟! الأسئلة تتوالى متى وكيف وأين ؟!

- أجاب الرجل بإقتضاب : لا أعلم شيئاً أخر ، سوى ما أنبأنى به رجل نثق بشهامته ، فلا تحرجوني ، فقط أوصيكم بشئ من الصبر ، وإياكم وتداول هذا الموضوع أمام أحـد من الحراس .

- قال الشيخ ياسين : العيد على الأبواب لعل (الزعيم) يصدر عفـوا بـالإفراج عـن المعتقلين بهذه المناسبة المباركة ونعود الى بيوتنا .. وجدت الجموع فى رأى الـشيخ أبى سعيد ظلاً من الامل .

– تقلبت بيننا الإجتهادات والتحليلات بشأن الدوافع والأسباب والتوقيتات غــدا المــرح ظاهراً .. الأحاديث كثيرة .. مرة مع النفس .. وحواراً مع الآخــرين .. الحريــة هــى الموضوع المهيمن .. بدأنا نسمع – الأمنيات – ورائحة الغد ، مشاريع ما بعد الخــروج . إجتياز الأسوار القائمة ، لمعانقة الطبيعة والإمتلاء بالهواء الطلق ، العودة الى حرارة الحياة ، والتوق الى الأهل والأصحاب .. هكذا إستقبل المستطيل (الخبر) الذى إنتظــره البعض طويلاً .. القدامى الذين طال بهم المقام .. (الخبر السعيد) مضى كما خيط النــور يفتض الظلمة ، ويزيح الأوجاع ، فيشرح الأمل الصدور .. تضاعف المرح .. وتعالــت الأصوات بالطرب .. ونشطت الحركة .. جمال وحده ، لم يحرك ساكناً ، لزم الــصمت . لم يعلق ، ولم يصبه الأنتشاء ، وأكتفى بإبتسامته الباردة .. وهو يواصل التدخين ...

قال له أحمد كشمولة : جمال هل سمعت الخبر ؟!

رد جمال متسائلا : ولماذا أسمع ؟!

قال أحمد : سيطلق سراحنا قريباً "؟!

أجاب جمال متسائلاً وهو يقلب الجملة: قريباً سراحنا ، يطلق لماذا ؟!

إنتهى الحوار.

– الخبر يضغط المسافة ، و(يقرب البعيد) .. الإنشغالات تدورفي رأسي ثلاث:

– أمل – الدراسة – العودة الى الدار .

لابد من وضع خطة ، أشرع بتنفيذها حال الظفر بالحرية ، تجديد العزم على المــذاكرة ، وتعويض أيام الإنقطاع عن الدوام والدروس ، ولن يكون البديل إلا (النجاح) ، وإن كان سفري الى قرية راوة طوال فترة الدراسة المتبقية ، من شأنه أن يحرمنى من أمل ، فأنها لاشك ستقدر ذلك عندما أحيطها علماً بالأسباب التى تحتم علي مغادرة بغداد ، الى مكان آمن يمكننى من إستعادة حريتي الحقيقية ، والمباشرة بتعويض مــا فــاتني مــن دروس ، خشية ضياع سنة من عمرى ودراستى .

– التفت الى أبى النور أسأله عما هو فاعل فى غده عند مغادرته القاعة رقــم واحــد . وعلى عادته المحببة ، أطلق زفرة طويلة وأمتص أنفاساً متلاحقة من سيجارته التــى لا يفارقها إلا لماما فتحدث قائلاً : الأمر سيان ، إنْ بقيت هنا ، أو خرجت الى هناك ، مــدّ يده صوب النافذة .. إنظر العالم كله أسوار ..الحرية التــى نتحــدث عنهــا ، مكانهــا (دماغي)– إرادتى . لن تكون فى أى مكان أخر (خارج) . إنها (داخل) .

أو تظن أننا مقيدون فى هذا البقعه فقط ، وإننا سنكون طلقاء خارج هذه الجدران ؟! إن إن هذا التصور وهم محض .

أنا حر عندما (أكون) أنا – إرادتى أنا ، فقد إتخذت موقفاً (حراً) جاء بى إلى هنا ولكن عندما أخرج من هذا المستطيل ، سيخرجونى (هم) بـ (جبرية) قرار الدولة . إنها ليست أكثر ولا أقل من (حرية) بالقوة ، وليست حرية فعل أو إختيار .

الذي يكثف وعيّي بالحرية ويطلق إرادتى هو أننى سألتقط فرصة إحتساء السوائل التى حرمت منها ، والتى لا تقدم فى العادة فى مثل هذه القاعات الرسمية .

عليك ياصاحبي أن تسكن اللحظة القائمة ، لئلا يطغى عليك (الوعد) الحكومى ، فيسلبك الطمأنينة التى كنت تحياها قبيل بشرى الخروج ... الكائن العاقل هو الذى يصنع أشياءه ، أحلامه ، همومه من داخله .. وليس من (خارجه) .. إن إنتظار الخروج إستلاب للذات العاقلة ، والوقوع فى الشيئية .فأنت الآن والجموع ترتقب الذى يأتى فيقرع الباب ، هاتفاً : هيا الى الحرية .. قد يأتى ولا يأتى ... يحولنا هذا الإنتظار الذميم الى دمى من الشمع أو العاج ، وعلى أحسن الفروض الى أدوات يعبث بها أصحاب النفوذ والقرار في الحكومة ، فقد بدأت عيوننا منذ إشاعة الخبر وهي لاتكف عن (البحلقة) صوب الباب وننتظر الذى سيأتى ... تتوقف دورة العقل . تتعلق . يصير الكائن البشرى (تابعاً رخواً) ، متلقياً .. ينتظر الأمر .

هكذا نورى شفيق ، يفلسف وقائع البشرى وبهذا المنطق اليقظ كان يسقط الترتيبات البديهية التى تواضع عليها الناس من حوله وهو فى كل هذه الأحوال وغيرها ، لم يتخل عن عذوبته الإنسانية ومرحه الجميل .. ومواصلة قراءة أرسين لوبين .

السادسة مساءً

إقتيد (فاضل عبدالجبار) من قبل النقيب (ع)

ا الأحد ١٩٥٩/٣/٢٩ .

إرتفع عددناً الى ١٦٩ معتقلاً ، إذ حلّ بيننا ظهر هذا اليوم ضيف جديد هو الصديق كامل الدفاعي ، إحتفى بمقدمة المستطيل ، جاءنا نقلاً من أحد مراكز الشرطة فى بغداد .. الذى أوقع كاملاً فى قبضة (الأمن) – أنه من الطراز الذى يحرص على إعلان موقفه بوضوح ودون مواربة ، وهو من النوع الذي يقارع مخالفيه بالحوار والمناظرات ، ويجد وقتاً متسعاً للإستفاضة فى التحليل والمقارنات ، التى تضيق بها صدور محاوريه

... وقد تعرض للأذى أكثر من مرة ، بسبب لجوئه الى الحديث المفتوح فـى الأمـاكن العامة ، وهو لا يرى غضاضة فى ذلك كله ، ففى رأيه أن مـن حـق المـواطن طبقـاً للدستور وتصريحات المسؤولين أن يدلى برأيه فى الشأن العام خاصة مايتعلق بهمـوم الوطن وأحوال المجتمع .

وقد وجد فى القاعه رقم واحد ، مناخاً مواتياً لمعاودة حواراته مـرة أخـرى ، والـذى يميزه أمور كثيرة منها : - بغداديته الأصيلة ، دماثة الخلق وصفاء الـنفس ، تلقائيتـه ... ويعد كامل من بين خياطي الملابس الرجالية ، المشهورين فـى عمـارة الـدفتردار بالسموال .

- يلفت النظر السلوك الأنيق لبعض زملائنا فى القاعة ، الذى يتبدى فـى جملـة مـن التفاصيل الصغيرة :

- تنظيم متقن للأمتعة .
- حسن الترتيب للفراش
- نظافة المكان ،
- العناية الشديدة بالمظهر من خلال :
  - محاولة إقتحام الحمام لغرض الإستحمام اليومى .
  - مراسيم الحلاقة .
  - حركة (المنقاش) المتصلة .
  - العطر .
  - تصفيف الشعر .
- تخصيص (بيجامه للنوم).
- الروب (قيافة خاصة) .

وإذا جالس هؤلاء الزملاء أحداً ، فأنهم يظهرون تحفظاً فى طريقة الجلوس والإسترخاء ، والحديث .

- يستخدمون أكثر من منشفة وبشكير .
  - واحد يغطى به الوسادة .
  - ثان لتنشيف اليدين والرجه .
  - ثالث منشفة عند الإستحمام .

- يحرصون على إستبدال الشراشف دورياً .
- يطيلون المكوث فى (غسيل) الملابس .
- يتبعون إسلوباً خاصاً فى تناول الطعام وفى ترتيب الوجبات وفق نظام محدد ، فيعنى بالخضروات ، والمتبلات ويجهد نفسه فى تهيئة ذلك فى الأوقات الثلاثة .
- يعتمدون مبدأ الأولويات فى تناول الطعام ، فى مواعيد محددة لا تتقدم ولا تتأخر ، ويبالغ البعض فيضع منديلاً على صدره أو يبسط بشكيراً على حجره أن يمد يداً الى صحن ، أو يتناول شيئاً من طعام بشوكه أو سكين ، وقد أثارت هذه التقاليد – بعض الزملاء الظرفاء ، المولعين بالدعابات والطرائف ، فتراهم يتغامزون ، يتبادلون الإيماءات ، وأحياناً يدلون بتعليقات ، بعضها سمج وثقيل ، وقد أطلق على هذه المجموعه مصطلح ، "الزناكيل" و(بورجوازية) .. وتمادى ثالث فوصفهم بـ(المدللين) .. وكانوا يقابلون مثل هذه التعليقات العابثة ، بالتغاضى واللامبالاة ، وقد وقرت فى أذن السيد رافع كلمة نابية ، فقام من (المائدة) محتجاً ، صاخباً ، فضرب الصحون بقدميه ، ووقف أمام (مجيد) إستنهضه بيديه من فراشه قائلاً :
- ماذا تريد مني أن أفعل لكي أصبح ثورياً عابثاً مثلك ؟!
هل تريدنى أن أتخلى عن النظافة فأتناول طعامى بيد متسخة ؟!
ما هو مفهومك للزنكيل الذى يتردد على لسانك كل وقت ؟!
أرجو أن تقلع عن تعليقاتك ، التى لا معنى لها ، ولتعلم بأنك أغنى منى مالاً ، وأنا أفقر منك حالاً .. فلا أهلى أثرياء ولا أبى كان تاجراً..ولست إلا موظفاً حكومياً بسيطاً – معاون فى وزارة الشؤون الإجتماعية.. فما كان من مجيد إلا أن يحتضمن السيد رافع ، وهو يقبل رأسه ويلتمس منه العفو ، وإنه لم يكن فى نيته الإساءة ، أو يقصد التجريح .. وإنما كان يسعى الى إشاعه المرح بين الجميع ، لتحمل مشاق المعتقل .. وتعانقا ثانية .. إسترد موظف الدرجة السادسة هدوءه ، وإعتذر لـ (مجيد) هذه المرة عن إنفعاله المفاجئ .. هكذا فصل أخر من الجد والهزل .
الإثنين ١٩٥٩/٣/٣٠ .
- الجند يقتحمون القاعة .. والشرطى سلطان يخف إلينا ، يلهث ، يحزرنا يومئ بيديه .. اللجنة .. اللجنة .. إختبأنا تحت جلودنا . مزعين .. تتواصل دورة الإقتياد اليومى ، إختيار أحد الضحايا ، تحت دعوى التحقيق ... وإنتظرنا ، سوف لن يفلت أحد من

قبضة النقيب (عمر) سيجئ دورنا الآن أو بعد حين ، الواحد تلو الآخر ستطوى عظامنا ... وسيعيد الضابط المولع بفنون التعذيب .. ذكرى (فلقة) الملا .. ثمة من (خرج ولم يعد إلينا) ؟! وعندما نسأل الحرس : يقولون لا علم لنا إلا بـ(الداخل) ، أما الخارج فأن له شأن أخر ، الخوف يغمر المستطيل ، نحاول الهروب من المصير كما تفعل (النعامه) فنلوذ بـ(النوم) إلا الشيخ وعلى ماما وخالد علوان وجمال فالأول يقاوم الخوف بالصوم والصلاة ، والثانى ، لا يأبه باللجنه .. يستمر فى تمارينه الرياضية .. وخالد يعلن إستعداده لمناظرة الضابط ويقسم على مواجهته وتحديه .. أما جمال ، فقد تحرر من (الخوف) ، بعد أن تعرف على أسراره ؟! لم يطل مكون (عمر) طويلاً ، فقد إلتقى هذه المرة بتلاوة أسمائنا ، وتأكد من وجودنا وأحداً واحداً .. ومضى يتبعه الجند المدججون بالبنادق .. عدت الى قراءاتى .. وأحاديث نورى الشجاعه ، أحاق بنا البلاء ، فقد هبط النقيب عمر الأرض ، متبختراً ، منتفخ الأوداج ، يتفرس فى وجوهنا ، ثمة نادى : (هادى .. الحلى) ، هادى : نعم ... صرخ النقيب : " تحرك .. تعال " إلتفت الى الجند "خذوه .. ؟!"

ملاحظة :

الفتى هادى فى نهاية العشرينيات يعمل مترجماً فى وزارة الأرشاد مثقف رصين ، مستقبل . يأنف المدخول فى صخب المناقشات السياسية ، يصفها بـ(دوخه راس) لا يميز أصحابها بين الأفكار والشعارات

إقتيد هادى فى الرابعه بعد الظهر ... لم يعد نورى يكترث بما يجرى حوله من توترات وهواجس نفسية ، لكنه لا يكف عن إطلاق تعليقاته الساخره ، فيقول : إنظر الجميع مأزومون ، الكل يرتقب يؤثرون الصمت والأنزواء ، والأبطال الصامدون ممتلؤون بـ(يقينيات) ذاتية ، لا يمكن التحقق منها ليس بوصفها محض فرضيات عامة ، لكنها أيضاً لا ترقى الى مستوى العقل ، والفرضيات الذاتية ، كما الشضايا كل واحدة منها فى إتجاه ، لا يمكن أن تكون متشابهه ، قد تتجاور أحياناً ، ولكنها متفارقة ، فكيف إذا أصبحت الفرضية (عقيدة يقينية) لدى البعض ؟! الإختلاف ليس عيباً ، إنما خطوة منطقية .. والرأى والرأى الآخر نضيلة .. والرأى الثالث من شأنه أن يوسع دائرة المعرفة ..

الإختلاف يعنى مشاورة ، للوصول الى الرأى الأفضل ، والفكرة الأكفأ .. بدلاً منم نقطة الصفر التى تكرس ، الأوهام المتداولة ، والمكررة .. لماذا يأخذون بصماتنا فى التحريات الجنائية ، لو كان الكائن العاقل ولد بـ(دماغ) واحد ، أو بنسخه واحدة مكرره ، لاكتفينا ببصمة أى واحد منا على ظهر هذا الكوكب الذى يوقظة التباين ويطوره الإختلاف .. على مدى الأيام التى حضرنا ويمعنا ، تظاهرات الأفكار والشعارات والتعبئة ، هل وجدت أحداً إستخدم معياراً نقدياً دقيقاً .

كل واحد يعتبر نفسه (مفكراً أوحداً) وكل حزب يرى أنه (المنقذ الأوحد) ... وبهذا الأسلوب اللانقدى واللاجدلى ، فإن هؤلاء يتخلون عن الأخرين ، ويعزلون أنفسهم فى قفص من اليقينات الوثوقية ، التى من الصعب على أصحابها الإقرار بوجود الآخر .

أضحك ملء فمى ، عندما أجد بأن أبطال المستطيل يعدون نصاً لا يشبه النصوص التى روجتها أدبيات الينما العربية ، هنا إزاء إصطراع الأفكار وتنامى الفرضيات ، وتداعيات التوتر ... ومقولة (الكل أو اللا شئ) .

يتعذر على كاتب النص أن يصمم الكيفية التى ستنتهى إليها الأحداث إذ ليس بوسع أى من المشاهدين أو القراء إستباق الأحداث ، أو التنبوء بالنتيجة / الخاتمة / المشهد الأخير لأن الأحداث التى تجرى ليست من صنع الأبطال ، ولا علاقة لهم بتفاصيل الوقائع .. فالأبطال غرباء . لأننا لم نعد أنفسنا لأى دور ، بل الأحداث هى وحدها التى تقودنا ، فتحولنا الى مجرد مخلوقات مشوهه ومضطربه ، تماماً كما الطفولة الهائمة بقصص الليل وحكاية الكائنات المفزعه ، التى لا نعرف عنها إلا مرجعياتها الحانية تنثال على لسان أمهاتنا وجداتنا حول منقلة الشتاء .

نحن معزولون عن التأريخ الحقيقى .. لا نقرأ إلا الأحداث البارده منه ، بعد أن غمرتنا الذبول والهوامش نتلقى النصوص والاحكام والنتائج دون أن يكون لنا حق المشاركة فى حرارة الحدث ، أو الرأى فيه ، ووضع شاره حمراء أمام العقل : "ممنوع المرور . ممنوع النقد " . عندها لا يملك جمهور القراء إلا التبرير . بتبرير الهموم والأحزان .. وأحياناً إبتلاع الخيبة بصمت . حيث تبدأ لغة أخرى .. لغة (الجمل الناقصة) والباب الموصد بـ(القدر المكتوب) ؟!! نحرك لساننا الطليق "قف مكانك .. لا توقظ العقل . ترى هل سيأتى اليوم الذى نكتشف فيه بأننا موجودون فعلاً " ؟!!

العيد يقترب .. كاد الناس هنا ، ينفجرون غيضاً .. الهموم . الترقب . عذاب الإنتظــار نلاحق الشرطة بالأسئلة .. وسلطان يرد "الصبر" اللجنة تلتقي المفوض فى اليوم الواحد مراراً تحت ضغط والحاح الطلبة ، الذين مضي على وجود البعض منهم فترة طويلــة ، بدأت موجه السخط والإحباط تعم قطاعاً واسعاً ، فقد ضاقت الصدور بــ(البشرى) التــى يبدو أنها ليست أكثر من شائعه ؟!

السأم يولد التوتر أحياناً ، يتفجر .. أو ينفجر دونمــا ســبب مباشــر . فيتمــرد علــى المستطيل حين لا تكون هناك علل . أو أسباب كافية ، يلجأالإنسان الى (الذرائع) !

- ثورة على توقيتات الحمام .
- إحتجاج على الأغانى .
- محاولة الحث على الإضراب لــ(رداءة الفاصوليا) .
- ضربات قوية متتالية على الباب ؟!!
- تحطيم زجاج نافذة ..

(ن) – نون مزق بيدية فانيلته فى حالة هياج مباغت . التمست الأخبار الطوال له عذراً ، كان نزقاً وعجوزاً و(عريساً) لم يقظ (السبعه) إلا يوماً .

عاد (الدور الأبوى) للرجل العجوز ، إجتمع باللجنة المشرفة مطولاً ، علما أن برنامجــاً ترفيهياً قيد الأعداد ، تبدأ فقراته بعد حين ، أو بعد إنقضاء وجبة العشاء .

بدأت الفقرة الأولى بــ(المربع) ، أعقبها مواقف تمثيلية و (تقليــد النجــوم) ، أضــفت مسحه من المرح (المصنوع) الغالبية فى حالة وجوم – عزوف عن المشاركة والفرجــة معاً .. لعل كلمة قنوط هي التعبير الواقعى لما هو قائم ، جربت الزاوية اليمنــى (منبــر الأعظمية) ، إقامة حوار سياسى عن الواقع الراهن ، وما إن بدأت الندوة حتى كــادت تنفض بسبب إثارة موضوع (النقد والنقد الذاتى) !

الكثيرون منا لم يستوعب هذه القاعده ، فيضيق أفقه وينغلق تماماً أمام أيــة ملاحظــة تنطوى على المراجعه أو التقويم ، بل يحاول تسفيه أى فكرة لا تنــسجم مــع مربعــه السياسى المقدس ، وبدلاً من التروى والإصغاء ومحاولة الفهم ، يكون الــرد عاطفيــاً عنيفاً ، يصحبه غضب متفجر .

حاول خالد أن يعيد ترتيب الندوة، فأذن لنفسه أن يتحدث مع دعاة (الرأى الواحد) ، بأن أعظم درجات المناظرة هى الإصغاء ، وقبول (الإختلاف) ولــيس عيبــاً ولا نقيــصة أن

نتعلم حتى من منافسينا الآخرين ، إصول المناقشة ، كيف تريدون أن تجتــذبوا النــاس الى مبادئكم خاصة الفتيه وصغار السن منعم وأنتم تمنعون غيركم من الحــديث وإبــداء الرأى .

إن لكل إنسان الحق كل الحق فى الإدلاء برأيه وعرض أفكاره ، دونما وصايه من أحد ، أننا هنا نمثل ألواناً فكريه شتى ، ولكننا جميعاً نؤمن بــ (الحرية) ، ونواجه مــصيراً ، واحداً ، فإذا إعتقد أى منا بأنه (المفي) وحده ، وإن لأفكاره سلطة المنع والقبول ، فإنه يخطئ خطأ كبيراً .

نال خالد إعجاب وتأييد الندوة .. إلا إن الكثيرين قالوا : بأن كلمة خالــد هــى جــوهر الحديث ، وليس بوسع أحد أن يضيف أو يعقب عليها .. عاد خالد الى كتاب (الإلتــزام) .. وتفرق الآخرون ، كل الى حال سبيله .

الثلاثاء ١٩٥٩/٣/٣١ .

ساعات النهار بطيئة متثاقلة ، نورى وأنا ، قطعنا العصر فى لعبة النرد ، غلبنى مرتين متتاليتين ، إنصرفت الى أمون صبرى ، بين (كاتب وراده) ، و (خيبــة أمــل) .. وأنــا أواصل المضى معه ومع كائناته البائسه ، التى تعيش بيننا فــى الدربونــه ، والــسوق والمقهى ، الأشد قرباً الى واقعنا المهين .. ولعل ولعه بــ(الوقــائع اليوميــة) يجعــل القارئ يشعر بالألفة مع المؤلف وأبطاله المثقلين بالأحزان العظيمة ، يئنون تحت وطأة العوز والإحباط ، والضياع ..

مساء اليوم بدأت الإستعدادات لإستقبال الأهل والأصــدقاء فموعــدنا غــداً – الأربعــاء الزيارة الأسبوعية من الثالثة الى الخامسة الظهر ، المتزوجون يخفون طرباً ، ينشطون فى الحركة ويضاعفون فى المرح ، ويبالغ البعض حفى الأعداد والإستعداد وكأن غــداً زفافه ... ينشغل الآخرون بجمع بعض المتعلقات (الملابس وأعظيه الفراش والوســائد والملابس) لإستبدالها بأخرى نظيفة عند الزيارة ... لكل واحد منــا نقطــة وجدانيــة متوهجة فى لحظة إنسانية ، قد تكون صدقاً وشجاعة ، أو ضعفاً ووهناً . كلنا يمر بمثل هذه اللحظة ، فالحنين والتذكر ، والغياب ، يعتصر قلب الإنسان ، فــى مفارقــة الأهــل والأصحاب ، والحرمان من دفء الأسرة و (لمة) الأهل ، ولقاء الأصدقاء .

وقد تمتد اللحظة الوجدانية ، الى إضطراب نفسي ، نحو الإحباط ، والكأبه ، والسأم . فيصاب بـ (العزلة) ، مستوحداً ، يخيم عليه الوجوم . يعزف عن المخالطة ، ويجد صعوبة فى الإندماج فى مجتمع المستطيل .

وقد رأيت أن نفراً لم يستطع التكيف أو إستيعاب الواقع ، فيصاب بالتوتر العصبى ، الذى يفضى به الى سورات من السخط والغضب ، وأحياناً السلوك الإنفعالى .

فى المقابل فإن تجربة (الحبس) قد تزود البعض بـ(خبرات) الصبر ، والتحمل ، والتأسي ، بل وتوقظ فيه حيوية من طراز لم يعهده من قبل ، وهى البحث عن البدائل الإيجابية كالتفاؤل ،والهمه العالية ، والإيثارة والبهجة والأشواق النفسي ، والسلوك الطوعى الخلاق .

لا تكف التعليقات الساخنه ، والهوامش المرحلة ، والمواقف العجيبة ، فالصدور منشرحة ، والألفة فى أقصى درجات الأنس والطرب والقرب .

لم يعد أى منا يهتم ببشرى الافراج أو ينتظر نداء جديداً من الرجل الوقور أو المفوض قالقاعه منشغله بـ (الغد) تواقه للقاء الأهل الأب ، الأم ، الأخ ، الزوجة ، يصافح الوجوه الغائبة أو التى نأى عنها ... لم تتم إلا عند الفجر .. وقيام الشيخ برفع أذان الفرض الأول .

الأربعاء ١/٤/١٩٥٩ .

صباح الأربعاء كان مشرقاً وجميلاً .. إخشدت ممرات القاعه ، وتزاحم الزملاء طوابير متراصة عند باب الحمام ، ينتظرون فرصة الإستحمام . المتزوجون فى مقدمة الموكب يحملون البشاكير وألواح الصابون (الركى) .

وعلى الفرش الممدودة ، تجرى إنشغالات الحلاقة والتجميل ، المرآة ، والمنقاش ... يحلقون اللحى ، ويشذبون (الشوارب) ، ويصفغون الشعر .. ويرشون على الوجه والصدر عطر الريف دور تحولت القاعه الى ورشه .

الإهتمام بالشخص يفوق الآن أى إهتمام موضوعى ، الإنصراف الى الشؤون الذاتية حتى الناعمه أو الصغيرة منها ، قد تسمع صغيراً خافتا .. أو أغنية (عمي يابياع الورد .. كلي الورد بيش .. كلى ..) .

العصر : الساعة الثالثة .

إنطلقنا من القاعه أفواجاً ، أفواجاً ، نفذ الخطى صوب الفضاء الوسيع ، إنحدرنا الى المكان .. العناقات الحارة ، قبلات ذات وقع وصدى ، التحايا ، والأشواق . والسؤال عن الأحوال خليط هائل من العواطف المتفجرة .

- الفرح والحزن يتعانقان ، بكاء الأمهات ، همهمة النساء ، همس الزوجات ..
محملون بالهدايا والأمتعه والعطايا .. الأطعمه والفاكهة والحلوى .. هرولنا الى القاعه جلبنا البطانيات .. بعد إفتراش الأتون الأرض ..

شيخ يتكأ على الجدار .. إمرأة عجوز تجلس القرفصاء .. أمى وأبى وأنا إلتأمنا فوق البطانية .. المتزوجون يلوذون مع قريناتهم الى ظل ، ذروة ، عمود . زاوية قصية ، جدران الأسلاك الشائكة .. المراصد .. بنادق الشرطة . تطوق المهرجان .

قال أبى ".. راح الكثير ولم يبق إلا القليل " ... أمى : تسألنى عن صحتى وأحوالى .. لم تنقطع دموعها .

راعنى شحوبها ، بدا وجهها متعباً ، مرهقاً .. سألتها : مم تشكين يأمى ؟!

قالت : مشاق (الحمل) ، .. فقد قطعنا مسافة طويلة ونحن نمشى على الأقدام .. وقد واجهنا صعاباً جمة على إمتداد الطريق ، فقد حاول بعض الشقاه السائبين إعتراضنا ، وهموا بالإعتداء على أبيك ، ومزقوا (عباءته) .. ولولا مرور سيارة الشرطة وعند نزول أفرادها ، لاذ المعتدون بالفرار .

شعرت بأننى المسؤول عما حدث لأبى وأمى ، وقد بدأت الملامة الذاتية ، منذ تلك اللحظة ، فأنا وحدى الذى تسببت فى إيلام والدي .. رجوتهما أن لا يعودا الى زيارتى مرة أخرى ، فأنا غير قادر على تحمل ما جرى لهما ، وأقسمت عليهما أن يعدانى بذلك ، وإن بإمكانهما أن يطمئنا على من خلال عمى أمين ، وخالى عبود ، وابن عمى معدى ، .. الذين يواصلون المجئ الى ، من وراء (حجاب) .

قبيل مغادرتهما ، إلتفتت أمى الى هامسه ، هل تعرف (وفية جارتنا) ، قلت : بلى ، إنها شقيقة صديقى أحمد ... قالت : "جاءتنا قبل يومين .. وسألت عنك " .

أدركت أن (أمل) ، وحدها لا غيرها كانت وراء الأمر ، ولم تك وفية إلا لسان حالها ، بعد أن طالت غيبتى ، وهى لا تعلم أين أنا ، ولعل رسالتى لم تصل إليها بعد .

وقف سلطان وسط الساحه وهو يعلن بأن الموعد إنقضى ، وإن على المعتقلين أن يسلموا على أهليهم ، فالساعه تجاوزت الخامسة بدقائق .

إنطلقت الجموع عائدة .. أبى وأمى مضيا برفقه عم أمين الذى وصل متأخراً .. عـدت الى المستطيل محملاً بأكياس الفاكهه والحلوى ، و (ألام فرتر) .
إحتسيت الشاى (المهيل) على مائدة أحمد عبدالجبار النجار . إمتدت التعاولة ، بعـد أن عادت مباريات المحيبس ، فاز فريق الكرخ على الفضل ، بفارق متواضع بعد أن كـادا يتعادلان .

الخميس ١٩٥٩/٤/٢ .
مفاجأة كبرى ، هكذا بدأ مأمور القاعه الأولى ، إعلانه الـصباحى : "مفجـأة كبـرى ، وبشرى سعيدة للطلبة كافة ، فسوف يطلق سراحكم خلال يومين ، لمناسبة عيد الفطـر المبارك ، وستأتيكم لجنة مكلفة بإنجاز معاملاتكم " .
بدأنا نتبادل العناوين وأمكنة التواجد وكل منا يؤكد للأخر على ضرورة اللقاء والتواصل وإستمرار الرفقة التى أصبحت خلال أيام قليلة علاقة إنسانية ترقى الى مقام الصداقة .
فى الساعه الثالثة بعد الظهر ، حضرت اللجنة ، برئاسة ضابط برتبـة رائـد ، أخـرج أوراقاً كثيرة من حقيبة جلدية ، وبدأ يقرأ أسماء الطلبة .
أشار إلينا أن عربات اللورى على وشك الوصول ، ستنقل الطلبة الـى وزارة الـدفاع ، حيث سيجتمع بنا الزعيم عبدالكريم قاسم شخصياً .. بعد حوالى ساعه حملتنا العربـات العسكرية ، وبرفقتنا جنود مدججون بالأسلحة .. إحتضنت بغداد ، الـشوارع ، سـاحة التحرير ، الناس ، الرشيد .
- ما أجمل وأعظم الحرية ..
ولجنا وزارة الدفاع عبر البوابة الرئيسية ، وتوقفت العربات فى رحبة تقع على يـسار المدخل . حضر ضابط برتبة عقيد ، وتقدم ثلة من (الإنضباط) – ساروا أمامنـا ونحـن نمشى فى أعقابهم ، وأدخلونا حجرة وسيعه على يسار مدخل الوزارة ، مكتـوب علـى اللوحة المعلقة على جناح الباب "مضجع الحرس " جلسنا على (المصطبات) فى صفوف متراصة ، ولما يمض وقت طويل ، حتى سمعنا هرولة ووقع أقدام ، وتحية إسـتعداد ، وخطر ببالى وصول موكب الزعيم عبدالكريم قاسم .
دخل علينا رجل برتبة عميد يتبعه ضابط برتبة رائد قيل لنا أنه (عبـدالكريم الجـدة) .. نهضنا إحتراماً وتقديراً . فأشار أن نجلس ، وأخذ يتحدث قائلاً :

"أبنائى الأعزاء .. لابد أن تعلموا بأن أقرب الناس الى قلب سيادة الزعيم هم الطـلاب ، وقد رق قلبه لحالكم ، وقرر الإفراج عنكم ، لتستأنفوا حياتكم الطبيعية ، وتعـودوا الـى مدارسكم وكلياتكم ، وتنصرفون الى مستقبلكم .. ولعل الأيـام التـى أمـضيتموها فـى المعتقل تكون درساً لكم ، وإن سيادة الزعيم حريص أن يلتقيكم حال عودته من جولتـه التفقدية .

أبنائى الأعزاء .. الذى أطلبه منكم الآن وعند لقائكم بسيادته أن تعلموا أنه زعيم البلاد وعليكم أن تلتزموا بأحاديثكم باللياقة والتهذيب ، وأن تكون هتافاتكم منحصرة بـالعراق وقائده ... وأنى واثق إنكم تقدرون ذلك وتحرصون عليه " .

بقى (العميد الجدة) يتمشى أمام القاعه ، وينظر بين الحين والحين الى الـساعه ، ثـم ولج القاعه ثانية ، وكأنه نسى شيئاً ، فقال "سيادة الزعيم نصير الفقراء ، يمـض جـل أوقاته فى العمل من أجل الشعب ، ولا يكف رغم كثرة مسؤولياته من تكـريس بعـض وقته للإطلاع المباشر على أحوال الناس فيتفقدهم من خـلال جولاتـه اليوميـة ، إنـه يواصل الليل بالنهار من أجل بناء العراق ، نحن لسنا ضد الوحدة العربيـة ، بـل هـى واحدة من أهداف الجمهورية الغنية ، وسوف تأتى فى حينها عندما يتم تشييد العراق ، وتحرير أبنائه من الفقر والأمية والأمراض .. إن ثلاثة أرباع بلادنـا تفتقـر الخـدمات الإجتماعية والصحية ، هناك مئات النواحى وألاف القرى التى لم تعـرف حتـى اليـوم الكهرباء ، والماء الصافى ، والمستشفيات . وقلـة المـدارس . فهـل مـن الـصحيح والمناسب أن نقيم الوحدة العربية ، ونترك بلادنا تعانى مثل هذه المـشاكل . وتعلمـون بأن العراق من أغنى دول المنطقة ، فالأولى أن نبنى بيوتاً ونعمره ، ونوفر لكل مواطن فى الريف والمدينة الخدمات الإجتماعية والصحية والتعليمية بحيث يصبح هذا البلد سيد نفسه ، رخياً قوياً وعندما يحي الوقت فإنه بلا شك سيدخل الوحده بإختياره الـوطنى ، وبإراداته الحرة ، أما الآن فأنهم يريدون أن يصبح العراق جزء من كل ،تابعـاً ولـيس مكافئاً ، أو سيداً لنفسه وقراره " . لعلكم تفهمون الآن بأن جمهورية ١٤ تموز وقائدها ، ليسا ضد وحدة العرب ، ولكن توقيت ذلك يرتبط بضرورة إعداة بنـاء بلادنـا حجـراً حجراً .. وبحيث تكون الوحده المرتقبة طريقنا لتحرير فلـسطين والأراضـى العربيـة المغتصبة الأخرى .

إذهبوا الى الريف والقرى وأنظروا الفقر والمرض والظلمة والطرق البدائية لـم تعبـد حتى الآن ، ولماذا الريف ، عليكم هنا فى العاصمة أن تمروا بـ(الوشـاش) و (خـان محسن) و ( ) سترون الناس وهم عراقيون مثلنا جميعاً ، يعيشون حياة بائـسة ، لا يملكون بيوتاً تأويهم يتخذون من السعف والصفيح مأوى . وكأنهم ليسو بشراً . [*]

وبعد أن إنتهى العميد الجدة من عروضه ..

هتف أحدنا : "يعيش الزعيم العربى عبدالكريم قاسم"

فرد عليه الزعيم عبدالكيم الجدة غاضباً : هل كنت نائماً ؟! "أين كنت ، وماذا كنا نقـول قبل قليل إن الزعيم هو زعيم الكل ، العرب والأكراد إنه قائد العراق" ؟!

إنصرف الجدة على أنه يعود بعد حين برفقة رئيس الوزراء وقبيل المغرب عـاد مـرة أخرى ، قائلاً : " كان يفترض أن يتناول سيادة الزعيم معكم الإفطار .. ولكن يبدو إنـه سيتأخر فى جولته ، فأمرنى سيادته أن أنوب عن فى دعوته ، وبلغنـى أن أنقـل لكـم تمنياته بالنجاح والتفوق وبأن تكونوا مواطنيين صالحين" .

جئ بالطعام من نادى الضباط المجاور لوزارة الـدفاع ، وتنـاول الجميـع الإفطـار ، الصائمون والذين لم يصوموا ، وقد إحتف بنا الجند وهم يغدقون علينا ، أصنافاً كثيـرة ، خاصة المشويات ، وداروا بالمرطبات وصوانى البقلاوة والزلابية ..

ووقف الجدة عند الباب ، يودعنا ، بعد أن صافحنا واحداً واحـداً ... صـعدنا عربـات اللورى ، طافت بنا الرشيد الذى كان فى حالة صمت ، خال من المارة ، إلا من عربـات قليلة .. وعلى طول الطريق كان الزملاء يرددون الأغانى والأناشيد ، وعنـد وصـولنا القاعه رقم واحد ، كان نشيد الفتوة هو الخاتمة :

يأمنا كفي الدموعا وإنتظرى لى رجوعا

أمضينا الليلة فى أحاديث شتى ، لعل أولها وأكثرها نقاشاً ، هى لقاؤنا بالمسؤول الكبير الذى حرص على إكرام وفادتنا ، ولم يحاول إستثارة أحد منا ، رافقـت أحاديثنـا تلـك المتعه النفسية الباذخة ونحن نرود الشوارع والساحات المتلألئة بالمصابيح الملونـه . وعبق رائحة رمضان فى بغداد .. يضوع من القبات والمأذن .. أشعر ب(التجدد) وكأنى أقف فى محطة إنتظار جديدة ، لأعود الى بيتى وأهلى ، والى تلك الإنسانة البارة التـى ترقب عودتى بحرارة بعد أن نال منها النوى ، لا أدرى سبباً لهـذا الأرق اللعـين فقـد جافانى النوم ، تقلبت فى فراشى مدداً ، حاولت أن أغفو ولو سنه مـن نـوم ، دونمـا

جدوى ، الأفكار كثيرة ، تصطرع فى رأسى ، فكرة إثر فكرة ، الهموم التى تنتظرنــى .. الدراسة ، المستقبل ، السفر المرتقب الى القرية ، وداع أمل .
أستعدت كلمات الزعيم عبدالكريم الجدة ، قلبــت كلامــه علــى صــفحات كثيــرة مــن الإحتمالات ، وجدت إنه لم يصمد الى جرح شعور أحد منا ، ولم يسمع الى تسفيه فكرة أو عقيدة ، وإن كل الذى تحدث فيه ، يعبر عن رؤية الدولة وسياســة الحكــم فيهــا ، وكأنه كان بعرض وجهة نظر شخصية يؤمن بها ، وتطوع فى الإجابة عن أسئلة كانــت فى صدور الكثيرين خاصة ما يتعلق بــ(الوحدة العربية) ..
أما موضوع الرعاية الصحية والخدمات الإجتماعيــة والتعليميــة ، والحاجــة إليهــا ، وضروب الحياة البائسة فى الريف والمدينة ، فإنى لم أنتبه اليها من قبل ولــم تخطــر ببالى والذى فهمته من واجهة نظرة أن الوحدة لابد أن تكون متدرجــة وتقــوم عنــدما تتوفر شروطها .. والبلد الذى يعانى من طراز هذه المشاكل لابد له أولاً من معالجتها ، لا أن يحملها معه الى دولة الوحدة ..
ظل السؤال الحائر يؤرقنى ويلاحقنى ، فيما إذا كان الذى حدث وأنا فــى هــذه الــسن الصغيرة من عمرى ، رغم مظلوميتى ، يستحق كل هذا الشقاء ؟!
الجمعه ١٩٥٩/٤/٣ .
صحوت مع صوت الديكة مبكراً ، رغم إنى لم أنم إلا ساعتين ، لكنى شــعرت بنــشاط متدفق يسرى فى جسدى ، وأنا أهئ نفسى للخروج ، فقد أخــذت أتحــرر مــن بعــض الامتعه والموجودات ، فوزعت الأغذية والفاكهة والحلوى والــسجاير وأثــرت جمــالاً بــ(بطانية) ووعدته بها حال مغادرتى المستطيل .
إنقضى النهار دون إشارة من المأمور ، تفيد أوتنبئ بأن خروجنا بات وشــيكاً ، لعلهــم ينتظرون (الأمر) ، ولابد للأمر من كتابة وتوقيع ، وبريد وإرسال ، عزمنا وشــله مــن أصحابنا الطلبة على مقابلة (المفوض) ، وبعد ساعه من الزمن سمح لنا بلقائه ، أشــار باكترات (لابد أن يطلق سراحكم اليوم أو غداً) ، وان الإجراءات تأخذ وقتاً ، لكنها فــى العادة لا تتأخر كثيراً ..وأعدكم بمجرد وصول (الامر) ، فأنى سأعمل على تنفيذه بأسرع وقت ، إذهبوا الى القاعه وإطمئنوا واحمدوا الله إنكم لم تحالوا الى المحكمة ".
أحاول كعادتى أن أشاغل نفسى ، أقطع أماد الوقت بالحديث ، والنرد و (جوته) ، لكــن (الذى يأتى ولم يأت بعد) إستمال الى ترقب مضن فــلا الأحاديــث تــشغل وقتــى ، ولا

القراءة بدأت تستهوينى وكأنى أقرأ (أصـــفاراً) فارغـــة .. تـــذكرت كلمـــات نـــورى ، وإستعدت فلسفياته ، وهو يهيب بى أن لا أقع فى (الغيبة) ، حيث يتحول (المنتظر) الى محض شئ ، وهو يئن تحت ضغط ألية عمياء مرهقة تزيد من عنائه ، وتسلبه حريتـــه ما أروعك يأبا النور ، التفت اليه راقداً يصنع (شجرة الدر) فوق وجهه ، يستظل بعينيه بالكتاب إتقاء ضوء منسرب من زجاج النافذة .

أزاح الكتاب ، وطوى الوسادة خلف ظهره قال : " أما زلت تنتظـــر الفـــرج ؟! أتـــصدق ياصاحبى بأننى أتمنى أن أمضى الربيع فى رحبات هذه القاعة ؟! وإلا قـــل لـــى : أيـــن سأجد هذه الأجواء التى تعيننى "على المطالعة ، وتـــوفر لـــى مثـــل هـــذه الـــصحبة .. وتمنحنى فرصة أن أعرف شيئاً عن نفسي !

هناك (الخارج) سأسلب متعه القراءة ، تحتلنى الإنشغالات الصغيرة والثانوية ، فيـــضيع الزمن بين الجزئيات البائسة سنعاود الرتابة ، وسنأكل وننام ، وتأخذنا المقهى ؟!

ولكن ما باليد حيلة .. وها أنا أشعر بأن حريتى فى طريقها الى الزوال ، لأنى أصـــبحت كالأخرين أخضع لجبرية الأفراج ... رغم أننا نلتقى حول قضايا أساسية ، ونتطابق فـــى الإصول العامة ، إلا أننا نختلف فى بعض المواقف والآراء ، ولكنه كان خلافـــاً خلاقـــاً جعلنا لا نسلم بالنتائج المطبوخه . ولا نقبل بالآراء المتداولة ، دون فحـــص أو نقـــد او برهان ووجدنا بأن الذى يشغلنا يكاد يكون متماثلاً فى المنهج والرؤى .

وإذا كان الفتى نورى يفكر بـــ (يومه) فقط ، فقد حاولت معه أن نصل معاً الـــى ضـــفة النهر الأخرى ، فنعبر الى الغد .

غير أن زاكرته الوجودية تأبى أن تضع المستقبل كمشروع فى أفق (اللحظة) الراهنه ، المحاصرة بالعبث والسأم واللاجدوى . رغم أن أياً منا لم يكـــن قـــد قـــرأ نـــصاً عـــن الوجودية حتى هذا التأريخ ١٩٥٩/٤/٣ . وحين ظهر (الوجود والعـــدم) لجـــان بـــول سارتر فى أول ١٩٦٥ أتانى نورى الى البيت وهو يحمل الكتاب الضخم ، طالبـــاً منـــى تفسير المفاهيم (المفاتيح) الأربعه فى المقدمة التى أعدها الدكتور عبدالرحمن بدوى .

ولم يك أبو النور حتى ذلك الوقت إلا قارئاً حـــراً ، يـــشارك جيلـــه الأحـــلام والهمـــوم والسفسطة و(المستكى) ... نحاول معاً وأخرون معنا ، أن نتعرف على الدنيا ، ونـــسعى الى إكتشاف أنفسنا ، لم يكن جيلنا مدرسياً مكتفياً بـــ(ميكانيكا التلقين) بل كـــان يحـــاول وهو يحتسى الشاى ويلعب النرد فى مقهى عريبى والبلدية أن يخوض مغامرة الثقافة ،

ويسعى أن يكون مشاركاً فى صنع المعرفة ، فالثورة (علم تغيير المجتمع) ، تشتعل فى قلب جيلنا ، (القومية العربية) لم تعد جوهراً راسخاً فى مجـرى الحيـاة لا تنحـل ولا تضحل ولا يصيبها موت أو مناء "لم تعد هذه المدونه أو النشيد الذى أشاعه الإسـتقلال ويردده خالد علوان أبو ديه إلا تجريداً حيال حرارة الواقع ، ورقعه النار .. البحث عـن (التغيير) ، قلب الواقع ، خروج العقل بالحرائق المضيئة ".

لم يعد التغيير الذى نؤمن به فتح النار على الخصوم والمنافـسين ، ولـم يعـد يعنـى التطويق والعزل ، والإقصاء وليس التغيير إزالة القشرة الخريفية من الجلود والرؤوس والأفكار .. بل نريده أن يمضى بثبات الى خارطة الوجود .. وأن نكون جزاءاً من فعـل التغيير الذى ننشده .

غير أن الحكم المفعم بالجدل الصاعد ، الفارق فيما وراء المكان والزمان ، تـسبب فـى شقائنا إذ لم يكن جيلنا رغم مطلقاته الفكرية هذه قادراً أن يتخلى عن مسؤوليته الثقافية حيال الوطن وأمانى الناس .

وبدأنا ندرك أن جحيم الواقع لا يحتاج الى حجاب (الملا جوار) ، بقدر حاجته الى معرفة السببية الكونية ، والإنشغال الحقيقى إنما يستمد مادته المعرفية من الواقع ذاته ولـيس من خارجه ، أو من فوقة وإن الصيروة تستلزم جدلاً نازلاً الى الحياة ، لا وراءها .

وبقى الحلم مستمراً بين الأحزان والبهجة ، هكذا كان حال جيلنا علـى مـدى مغـامرة الستينيات وما تلاها ، يحاول النهوض من خيبة الى خيبة ، متمرداً على ذاتـه ، ثـائراً على واقعه ، لم يقبل التبريرية ، ويرفض ذرائعيه كتاب الصحة البدنية ونفى أن تكـون الهزيمة جدلاً صاعداً ، بل تكمن الأسباب الحقيقيـة داخـل عقولنـا ، فـنحن جميعـاً مسؤولون عن الذى حدث ويحدث .

فالهزيمة بكل صفحاتها المريرة .. توثق غياب التعليل .ومجافاة الأسباب .ونفى حريـة الكائن البشرى .. وإعتبار الرأى الثالث حزوجاً على السلطان لا يزال من بقى من جيلنا يقبض بيده جمرة الغد ، ماضياً فى حلمه ، يترقب المدنية الأمنة ، بلا جند أو حـرس ، لعله يجد مكاناً فى مدينة العقل والحرية والمستقبل .

السبت ٤/٤/١٩٥٩ .

لا خبر جاء ولا أمر وصل ؟!

نحن الطلبة مأزومون (قلقون) وكأننا نقف على قدم واحـدة . الـدقائق تمـر بطيئـة ، والوقت لا ينصرف إلا متثاقلاً عنيداً . عيوننا منزرعه فى البـاب ، نلتفـت مـن وراء النوافذ ، ما إن نسمع جلبة فى الخارج ، حتى نهب كـالمفزوعين ، نمـد أعناقنـا ، أو نسترق السمع من وراء الجدران .

فى الرابعه عصر اليوم وقف المأمور فى مدخل القاعه ، بدأ يقرأ ورقة مطوية إسـتلمها من جيبه : "يتم ترحيل الطلبه الساعه الثامنه صباح يوم الإثنـين الموافـق ٦/٤ الـى شرطة السراى ، لإجراءات الكفالة المالية ، لغرض إطلاق السراح " .

عم الصمت ... أعقبه رفض . ثمة فوضى .. وعلا صوت المأمور :

"إطلاق السراح مشوط ، فلابط أن يعلم ذووكم بالأمر ، إذ بغير وجود كفيل ضـامن " .

قال طالب الحقوق : هذا يعنى أن القضية ستبقى معلقة لدواع أمنية بعد إطلاق سراحكم.

إذن لم الإحتجاج ؟!

لن ينفه أحدا منا أن يغضب أو يثور . هكذا (الجبرية) الحكومية تلقى بأثقالها المـرة ، علينا التسليم الأعمى ، بالمشيئة الرسمية ، بما أوقعت وقـررت ، علينـا فقـط ، عـد الساعات المتبقية .أشعر بأنى أتجوع ظلماً جديداً .. له مذاق العلقم .

هزيمة أخرى .. إستبد بى القلق ، فالإفراج المشروط يعنى أنى سأبقى مقيداً مـصلوباً ، مطلوباً على لائحة المشبوهين ، مطارداً مهدداً بالإعتقال فى أى وقت وتحت أى بنـد أو ذريعه . ولعل هذا وحده يعد سبباً كافياً لشعورى بنداحة الظلم ، زالخسران المبين .

وإن الدنيا على سعتها تبدو الآن قيداً ضيقاً غليظاً ، يقبض على وجودى كله .

– هكذا إذن لن تسقط العقوبة بل تصبح ظلاً لحظواتنا أينما رحنا أو حللنـا فـى هـذا العالم. حاولت أن ألوذ بـ(حيران) ، لعلى أتخطى جدران السجن ، فلم أجد فى حـوزتى إلا (الاجنحة المنكسرة) ،التى لم تقو نصوصها أن تحملنى بعيداً .

خالد علوان يرى من وجهه نظرة ، بأن (الكفاله) هى العلامة الفارقة فـى قـضيته ، إذ تعنى إن النضال لن يتوقف ، وإن المواجهه ستستمر ، وإن لا معنى سـيكون لوجـوده هنا ، بغير الكفاله ، فهى بمثابة شهادة على وجود (المعارضة) ؟! وإنى لن أتوقف عـن العمل .. وربما أعود إلى هذه القاعه مرة أخرى وأخرى .

إختتم نورى القول : "العالم سجن كبير ، ليس ثمة حرية ، إلا فى الإدارة ، إنهـا رأس الإنسان " .

الأحد ١٩٥٩/٤/٥ .

حاول (أبو ديه) أن يعيد على سامعى نص البارحه ، حسمت الأمر وقلت له "إنى منشغل فقط بموضوع دراستى ، أما ما تدعوه سياسة ، فسأكون فى منأى عنها ، ولنترك كل شئ على حاله ، ألم يقل الشاعر اليوم خمر وغداً أمر ؟! إذن فلنلعب النرد الآن وغداً يوم آخر ... بدأ نورى يدندن (مقام الصبا) .. وكأنى أسمع نغماً جنائزياً ، مثقلاً بالحزن .. وفى الخاتمة أخذ يردد بصوت مجروح أغنية زهور حسين : " غريبة من بعد عينك يايمة .. يمه " قفز على ماما ، ووثب على الجدار ، قدم عرضاً رياضياً شبيهاً (بالأكروبات) .

قال وهاب الكردى : "سأغنى من أجل الطلبة .. ومن أجلنا معاً .. " ، ما أعذب صوت وهاب وما أحنه .. ينفذ الى القلب ويطرب النفس ، كما قطرات الشهد والندى .. فإذا غنى أو أنشد فإنه يؤدى ذلك بإحساس مرهف ، يذيب الأكباد .

تناولنا (العشاء الأخير) . توالى إعداد حفل الوداع .. كلمات متناثرة ، عبارات مؤثرة ، أناشيد وطنية أغان ، مربعات ، شعر .. مشاهد تمثيلية .

الرجل العجوز حماسة متناهية فى إعداد وتنظيم الحفل ، .. وقد تحدث حديثاً حانياً .. دعانا الى النجاح والإبداع والتفوق ، لأن مستقبل الطالب هو الدراسة والمدرسة ، وإن لاشئ يعوض التلميذ فى الحياة قدر الشهادة جواز مرورة الى المستقبل ، تلاه الشيخ الذى بارك لنا الإفراج والفوز بالحرية ، وحثنا على (التقوى) والتحصيل العلمى .

الخطباء الأخرون يذكرون الطلبة بقيم ومبادئ (المعارضة) ، ويشددون فى كلماتهم على (المقاومة والنضال) ، لتحقيق الأهداف التى إحتجزنا من أجلها ... القيت نكات ونوادر كثيفة .. أضحكتنا طويلاً ..مد البساط (حلوى رمضان) فجأة إقترب منى (جمال) هامساً: "أخى .. أودعك الأن ، لأنك تعلم بأنى لا أصحو إلا عند الظهر ، وقد يفوتنى وداعك والسلام عليك عانقنى بحرارة وبكى .. " وأشرت إليه بأنى سأودع البطانية التى وعدته بها الى جواره .

فى ذيل هذه الليلة كما فى غيرها من الليالى المنقضية ، تحثت ونورى عن أشياء كثيرة ، إستعدنا الأيام الماضية ، وأستشرفنا الزمن القادم :

– من نحن ؟!

الثمن الفادح الذى ندفعه . بطواعية أو قهر ، ترى هل هو طريق الحقيقة المؤكد؟! وهل كان لابد من هدر الدماء ، ونصب أعمدة الموت ، لنصل الى الحقيقة ، وأى حقيقة وسط قوافل الضحايا ... الموت بالمجان ، والموت بلا قضية ، والموت بلا عدالة .
وماذا بشأن أبائنا الكادجن المحاصرين بالهموم والرزايا ؟ وأى قدر مكتوب هذا الذى يسحق مكسوب أمهاتنا النائحات ؟!
من المسؤول عن كل الذى جرى ويجرى ؟ هل نعلق الأسباب كلها على شماعه القائد الأعلى للدولة ؟! ونقول بأن الذى أصاب بلادنا بكل هذه المأسي منذ فجر ١٤ تموز ١٩٥٨ خرج من تحت المعطف العسكرى ؟!
أم أن الفقه السياسى هو الذى يتحمل مسؤولية الإضراب الوطنى ، الذى يتحول الى حرب أهلية ؟! فيهدد وحدة وأمن وسيادة البلاد ؟! من أيقظ طقس الفجيعه ، وأطلقها فصولاً من الدم والخراب والظلام ؟!
ترى الى أين نحن سائرون غى غابات الطلمة ، والخوف ، وفقدان الأمن ، والأمل ؟!
هل يعقل أن يتخذل وادى الرافدين بأبنائه ، وهم يرون المهاوى التى إنحدرت لها الحياه ، حتى بات الوطن كل الوطن مهدداً بوجوده العريق ؟!
كيف نجوز الإختلاف على الإصول العامة الواجبة الإتباع للعراق ؟ وإلا كيف نفسر مثل هذه التنظيرات التى حولت الوطنية الى مربعات رياضية ، أحمر وأخضر ؟! شديدة الغموض ، عسيرة الفهم ، حتى إختلطت المبادئ بالامزحة الشخصية ، وبالدعايات السياسية الرحنحية . والمصالح الضيقة الذميمة . إن الإنسان ليشقى وهو يرى شعبنا قد إنقسم على نفسه فى خندقين متقابلين ، كل طرف يحاول الوقيعه بالطرف الأخر .
من يفوز فى النهاية إذا تقاتل أبناء البيت الواحد ... البديهية تقول ، بأن اللصوص الذين يرابطون على حدود البيت . هم وحدهم الذين سيحضون بالغنيمة .. وإن الخاسر الوحيد هو العراق .
الأثنين ١٩٥٩/٤/٦
فى السابعه من هذا الصباح ، أنهى الطلبة حزم الأمتعه . صباحاً ، غادرنا القاعه وسط تدفق سخى من المشاعر الندية ، العناق والقبلات والدعوات .
إنطلقت بنا عربات اللورى وكأننا نعود الى الحياة مرة أخرى ، نزلنا السراى ، وإقتادنا الحرس الى أروقة المبنى وضعنا فى (النظارة) ، فى غرفة الحجز المجاورة هتف

المحتجزون ، رفعوا أيديهم يلقون التحية والسلام .علمت بأن مجموعه من شباب الكرخ ، من بين المعتقلين .. تحدثنا من وراء القضبان .

الحادية وخمس وأربعون دقيقة ، جاء أبى يصحبه مهدى عبـدالجبار ، وتـولى (أبـو إحسان) تنظيم كفالة بمبلغ (٥٠٠) خمسمائة دينار ... مضينا نحن الثلاثة الى الدار ..

الهوامش والتعليقات

١- عبد الله فرحان سرحان الزبيدى : زميل متوسطة فيصل ، فارقته منذعام ١٩٥٩ بحثت عنه لسنوات طويلة، ولم أهتد الى عنوانه ، قيل كان يعمل موظفاً حكومياً بصفة (مفتش صحى) .

٢- عبدالجبار عبدالرازق : من رفاق الزمن الجميل في متوسطة فيصل ، ذاب فى زحام المدينة ، كان لأبيه محلاً مشهوراً يقع فى رأس جسر الشهداء من جهة الرصافة لصق جامع المرادية ببيع (المثلجات) واللبن(الشنينة) وكان العابرون جسر الشهداء من الجهتين يطفؤون حرّ الصيف بطاسة من اللبن.

٣- عبدالرازق سالم الخفاجي : من الصحبة الطيبة ، أمضينا ثلاث سنوات معا في متوسطة فيصل ، إشتغل فى التعليم ، إلتقيته عام ١٩٩١ ، ينحدرمن عائلةإشتهرابناؤهابفن النقش والصياغة ، ولازالوا على هذا الحال والمعرض العتيد قائم حتى اليوم في شارع النهر ببغداد لبيع وشراء (الحلي) والمقتنيات الذهبية .

٤- مديرية شرطة التحريات الجنائية كان موقعها القديم فى نهاية شارع النهر .

٥- كعك السيد (السامرائي) من أشهر وألذ ما عرفته بغداد منذ ثلاثينيات القرن الفائت، المحل الرئيسي فى شارع الرشيد قرب الميدان ، قيل أن أصحابه إفتتحوا فرعاً أخر فى المنصور .

٦- أحمد عبدالجبار كشمولة تعرفت عليه في المعتقل كان يومها طالباً فى كلية الشرطة . والتقيته عام ١٩٧٤ برتبة مقدم أو عقيد .. ولكنه لم يتذكرنى إلا بصعوبة .

٧- بو غوص : حلاق حاذق يعد من المشاهير في زمانه ،كان زبائنه من كبار الشخصيات والمسؤولين فى العهد الملكى ، موقع الصالون فى عمارة حافظ القاضي ، قبالة الزقاق المجاور للمصور الشهير (إرشاك).

٨- سلطان : شرطى أول فى الشرطة السيارة ، وكان يتولى إحتياجات القاعة رقم واحد ، كان رجلاً كريماً وشجاعاً ، وقد خفف الكثير من همومنا .

٩- النقيب (عمر) : كان للأسف نموذجاً سيئاً ، عنيفاً قاسياً ، دموياً ، سادياً يتفنن ويلتذ بتعذيب المعتقلين . أثرت عامداً أن أدارى إسمه الكامل حفاظا علة سمعة عائلته .

١٠- عبدالرحمن (ق) : رغم كل ما صدر عنه من عنف وما أقدم عليه من إيذاء ، وما تسبب فيه من إعتقالى لمرتين ، ومطاردتى ، طوال سنتين ، فأنى لا أجد مبرراً

موضوعياً يدعونى الى ذكر إسمه الصريح .. وقد شاءت الأيام أن ألتقيه عام ١٩٧٤ عند باب وزارة التربية فى الأعظمية ، وبعد أن ألقيت عليه السلام ، أنكر معرفته ، : أشار الى إمرأة تقف الى جواره قال (زوجتى) جئنا لمعالجة موضوع (النقل) من منطقة نائية في الاطراف الى مركز بغداد فصحبته الى الصديق ضياء إسماعيل الخناق الذى كان يعمل موظفا في ذاتية التعليم الثانوي فى التربية آنذاك ، لمعاونته فى طلبه .

١١- المفوض (بهاء) : كان يشغل آمرية مركز شرطة الجعيفر ، لم أشأ كتابة إسمه الصريح وحدث أن إلتقينا فى راوه شتاء ١٩٦٠ ، وقد عاتبه الحاج على العبد عتابه على سلوكه تجاهى ، يوم ١٩٥٩/٣/١٥ فتذرع قائلاً بأنه لو لم يظهر الغلظة فى معاملتى لساء مصيرى . ؟!!

١٢- شاكر محمود (السامرائى) ، يسكن في محلة التكارتة ، كان فى نحو العشرينيات ، عرف بسجاياه الطيبة ، الهمة العالية والشيمة ، والنخوة ، إشتغل لفترة طويلة عاملاً فى شركة إتحاد مصانع الورق العراقية .. وفقدت أثره وتباعدت أخباره ، علمت من الصديق وهاب السامرائى صاحب مقهى الريفي فى الكرخ ، فى لقائى به خريف ٢٠٠٠ بأن شاكراً توفى إثر مرض مفاجئ .

١٣- حسن موسى ويعرف أيضاً بـ(حسن لكش) تجاوز العقد الخامس ، كان أستاذاً لتأريخ العراق القديم ، ومن كبار رجال التربية ، أصله من الحلة ، ويقيم فى الأعظمية ، عرف بميوله الوحدوية ، مات مبكراً .

١٤- بدرى البدرى : فنان تشكيلي نحات أستاذ مادة الرسم فى متوسطة فيصل .

١٥- أحمد خلف : زاملنى فى فيصل وثانوية الكرخ رياضى يهوى (الملاكمة) ، وهو من محلة الشيخ على فى الكرخ .

١٦- كاظم : لم أعد أذكر إسمه الكامل ، كان مثالاً رفيعا في رحابة الفكر وسمو الوجدان، وأستاذاً ضليعاً فى مادة الجغرافية والتأريخ ، من آرائه الشائعة أنذاك ، أن التأريخ والجغرافية يحتمان أجلاً أم عاجلاً أن تقوم وحدة العرب . لان التجزئة حالة طارئة في تاريخ الامة العربية .

١٧- عبداللطيف العانى : مدرس كفء ، يتحدث العربية الفصيحة ، ذو ميول يسارية ، أما إبنه عمار زميلنا ، فكان قومى الإتجاه .

١٨- صبيح (ع) : أستاذ الرياضيات إنجر فى بعض المواقف الى جوار دعاة العنف .

١٩- على ماما : عرفته منذ الأيام الأولى لثورة ١٤تموز١٩٥٨ فى منطقة التكارتـة ، كمـا عرفت شقيقيه صالح الاقرع ومهدى قومية ، يوصف بأنه من (الشقاوات) كان ينتمى الى (حزب الإستقلال) ثم تحول بعد إنشقاق الحزب الى حـزب العربـى الإشـتراكى . مـن شعاراته (كفاح وحدة إشتراكية) .

٢٠- حيدر الفضلي : تعرفت عليه صيف ١٩٥٨ فى مقهى الوحـدة العربيـة فـى منطقـة الجعيفر عمل في قطاع النفط ، كرس حياته في الدفاع عـت قـضايا العمـال ، ونهـض بمسؤليات نضالية على الصعيدين النقابي والسياسي في حركة القوميين العـرب ، يتميـز ببسالته الانسانية في روح المبادرة والشجاعة والالتـزام ، وظـل وفيـا لفكـر ومـنهج المناضل جمال عبد الناصر وكان إنبثاق تجربة الاتحاد العام للعمـال العـرب ، الاسـاس الموضوعي لقيام الدولة العربية الواحدة ، إرتحل في بداية عقد التسعينيات مـن القـرن الماضي .

٢١- عبدالحسين الربيعي : أحد مناضلي حركة القوميين العرب، ويعرف بـ(أبى دية) ، لأنه بذارع واحدة ، فقدها منذ صباه أثناء تعرضه لحادثة فى جسر الحديـد . صـحبته طـوال سنوات عديدة ، يتميز بوعيه الوحدوي وبثقافته الواسعة، ورحابة عقله ، وكفاءتـه فـي الحوار، عمل أستاذاً جامعياً فى المستنصرية والبصرة.

٢٢- حمدة المحنة : زوجة الحاج مشمش العبيدى ، أم جميل ، جارتنا فى دربونه زنكوّ فـى محلة الفحامة عرفت بشمائلها الكريمة . وكانت تعد شيخة عرب في زمانها .

٢٣- حفصة مراد : زوجة عبدالرازق العبود أم الحاج مجيد وجبار جارتنا فى دربونة زنْكـوّ ، تلتئم حولها نساء الدربونه عند طقس (شاي العصر).

٢٤- مجلة السندباد : مصرية للأطفال والأشبال ، تعد واحدة من افضل الـدوريات الثقافيـة التي عنيت بأدب الاطفال وفي رعاية وتنمية القدرات الابداعية في العلوم والاداب والفـن التشكيلي ، أحتفظ بأعداد كثيرة منها ، إنقطعت عن الصدور فى نهاية الخمسينات .

٢٥- عائشة : عائشة صالح النعمان عمة أمى كانت تطل علينا وتأتي لزيارتنـا بـين فتـرة وأخرى وتقيم معنا شهوراً .

٢٦- خالد علوان : من محلة التكارتة إنضم الى الحـزب العربـي الاشـتراكي الناصـري ، الصديق منذ أيام فيصل وثانوية الكرخ ، كان شجاعاً ومغامراً ، أنهى دراسته الثانويـة ،

وإنخرط فى سلك التعليم الابتدائي ، قتل في حادثة مأساوية (وهو لم يتجاوز العقد الثالث) فى حادثة أليمة بالقرب من الشيخ معروف نهاية الستينيات .

٢٧- خالد ناجي : من الكرخ محلة كهاوى عكيل ، التقيته فى المعتقل ، وهو طالب فى كلية الحقوق ، كان واسع الإطلاع مثقفاً دمث الخلق . كان يدعو الى قيام جبهه وطنية تضم كافة القوى الوحدوية، وكان شديد الإيمان بالحوار وإحترام الرأى الأخر .

٢٨- محمود : أظنه من الشرقاط كان يحسن أداء فن العتابة ، يتميز بصوت شجي .

٢٩- حازم : من عقد الكرد بباب الشيخ ، كان فناناً تشكيليا مبدعاً إقام أول معرض شخصي له فى المعتقل وقد كان مبهرا في إسلوبه وتشكيلاته .

٣٠- إسماعيل : يكنى (ابو حقى) من محلة بنى سعيد فى شارع غازى ، أشتهر بأداء (المربع) البغدادى .

٣١- عادل البياتى : فنان تشكيلى ، يمتلك أيضا مهارة ثقافية في عرض أفكاره وفي إعتبار الفن الملتزم بقضايا الوطن والامة يشكل جبهة مؤثرة في التنوير والنهضة .

٣٢- فيصل محمد القرة غولى : النجل الأكبر لمحمد القرة غولى ، كان فى صباه شقياً ومشاكساً .. عمل فى سوق السيارات ، وكان (ناصرى) الفكر .

٣٣- عصام صبرى الراياتى : زاملنى فى الحسينية والجعفرية الإبتدائية . والمشاركة في الجوارفي محلة القشل.. أنجز دراسته فى بريطانيا ، وتولى بعض المسؤوليات الحكومية توفى في الثمانينيات .

٣٤- الحاج صبرى المراياتى : ويكنى بأبي صادق ، أحد أشهر تجار الحلويات فى بغداد وقد ورث هذه المهنة عن أبائه وأجداده وما يزال أحفاده يتولون إدارة مصانعه ومعرضه الكبير فى سوق الشورجة كان رجلاً ورعاً وديعا وكان صديقا لابي ويعد من أعمدة محلة القشل قبل أن ينتقل الى دار أخرى فى (الكرادة الشرقية) . توفى فى عقد الستينيات .

٣٥- رشيد العزاوى : صاحب مقهى (بعقوبة) المطل على شارع غازى من جهة سوق الشورجة (العلاوى) كان رجلاً ممتلئا مفرط السمنة . عرف بفظاظة طبعه وعنفه ، واعتنق (شيوعية الشوارع) ، كان يعتقد بأن (الشيوعية) هى بسط السيطرة على الجميع وإن العنف هو أول شروط إقامة مجتمع العمال والفلاحين .. وقيل إنه تراجع عن إعتقاداته فيما بعد .

٣٦- الرجل العجوز : عربي من أصل فلسطينى ، يعمل فى شركة نفــط العــراق ، بوظيفــة (مدير عام) فى حوالى العقد السادس . قصير القامة ، أشيب الشعر ، نحيــل البنيــة ذو صوت خفيض .

٣٧- المفوض : مفوض أول ، ينتمى الى عائلة (كشمولة) من الموصل ، طاعن فى السن ، بطئ الحركة ، حاول طوال مدة إقامتنا فى المعتقل أن يكون (متوازناً) بين واجبه الوظيفى وتنفيذ القانون بالحسنى ، كان مسؤولا عن القاعة رقم واحد .

٣٨- القاعة : وهى واحدة من قاعات عديدة كانت تكتظ بالسجناء والمحتجــزين مــن ذوي الاتجاهات الوحدوية والناصرية .

٣٩- على السامرائى : ويكنى (أبو حسين) من سامراء ، مولــع بــــ(الأشــباح والأرواح) وحكايات الجن ، لا يكف عن سرد القصص ، ويجد فى العجائبيات متعة بالغة .

٤٠- الشيخ ياسين : ، كان متواضعاً ، وبسيطاً ، وقيل إنه (إمام) مسجد صغير يؤم المصلين .. لم يكن مفوهاً فى الكلام كما هو حال الشيوخ الآخرين ، تآلف مع الجميع وكان موضع توقير وإحترام .

٤١- حميد ضلحال : في حوالي الخمسين يعتنق مبادئ البعث ومن كوادره المتقدمة . بقــى ضمن قطاع الأعظمية .

٤٢- عدنان كندى : مهندس فى النفط .

٤٣- عبدالملك : موظف حكومي

٤٤- بدركبة : مهندس نفط يعمل في شركة النفط .

٤٥- صادق العباسي : شركة النفط . مصفى الدورة .

٤٦- الشقيقان نادر وصلاح : سوريان ، يمتلكان مكتبة العربى فى شارع الرشيد تقع جــوار سينما الحمراء الشتوى .

٤٧- عيدان : ويكنى بأبى جمال علوجى ، كان فى الأصل حمالاً فى علاوين الشورجة ، ثــم أصبح وكيلاً لصاحب العلوة هاجر الى ايران عام ١٩٨٠ .

٤٨- مهدى قومية : شقيق على السامرائى المعروف بــ(على ماما) ، وقد أضفى عليه لقب (قومية) لكونه قومياً أولاً ، ولحماسته العاطفية فى الدعوة الى القومية العربيــة ، إفتــتح محلا في محلة سوق الجديد أسماه (بور سعيد) إعجابا بالمدينة العربية وتمجيدا لدورها في مقاومة العدوان الثلاثي في العام ١٩٥٦ نزل مصر في نهاية الــستينيات طالبــا فــي

جامعة القاهرة وعندما حصل على شهادة ليسانس الحقوق ، فضل العمل في مصر، وزاول الاعمال الحرة وقد اجه متاعب كثيرة في حياته ، وبفضل ذكائه وقوة إرادته صمد في مواجهة الشدائد التي مرت في حياته ، وكان حبه لمصر وتعلقه بها ، جعله يختار شريكة حياته من نفس البلد الذي كان يمثل في وجدانه قلعة النضال العربي وأعقب من زوجته المصرية عددا من الاولاد ، وعبر سنوات طويلة من العمل تمكن من بناء سمعة طيبة في قطاع السياحة والنقل وأقام بجهده العنيد مؤسسة للنقل البرى في القاهرة، توفي في بداية القرن الحالي في العربية السعودية أثناء تأديته مراسيم الحج . كان مهدي يمتلك روحا مفعمة بالظرف والمرح ، خفيف الظل ، حسن المعشر ، وكان شديد الرفق بذوي الحاجة من اليتامى والفقراء وأبناء السبيل .

٤٩- وليد خليفة : عرفته منذ عام ١٩٥٨ ، يتردد على مقهى (الريفى) القديمة ، قومى الإتجاه ، فجأة قرر السفر الى خارج العراق ، فأختار المانيا ، حيث أقام فيها منذ ١٩٥٩ ولم يعد منها ، وقد قيل أنه ظفر بوظيفة مرموقة في أحد المصانع الالمانية ، بعد نيله شهادة عليا في الهندسة الميكانيكية ، وإنقطعت أخباره منذ الستينيات .

٥٠- كريم أيوب : رفيق الطفولة الأولى ، والصاحب والصديق في سنوات الصبا والشباب في متوسطة فيصل وثانوية الكرخ ، وماتلاهما من الايام ، أتعبته الحياة ، فارق الحياة وهو في ذروة شبابه .

٥١- حاج مهدى الكبيجى : أشهر مطعم كباب فى زمانه ، يقع محلة فى الشواكة ، وقد أزالت (المطعم) العمارة المقابلة لمركز صدام للفنون فى شارع حيفا الحالى .

٥٢- الطمة : مكبّ فضلات البقر (الروث) المجفف الذي يستخدم وقودا في الحمامات الشعبية وطمة (حمام شامي) تقع في زاوية مشتركة بي محلتي الفحامة والفلاحات .

٥٣- كهاوى عكيل : أدركتها فى الأربعينات والخمسينيات تقع على ناصية الطريق المؤدي الى سوق حمادة ومن الجهة الأخرى تجاور (جامع عطا).

٥٤- جامع القُمرية : شيّد في زمن الخليفة العباسي المستنصر بالله ٦٢٦ هجرية-١٢٢٨ ميلادية على ضفة نهر دجلة الغربية بكرخ بغداد ، جدد أيام الدولة العثمانية ولم يبق من البناء العتيق إلاّ المئذنة ذات الزخارف البسيطة .

٥٥- ملا حميد : مسجده الصغير والمعروف بـ(جامع عطا الصغير) يقع قبالة -الدهدوانة- في الطريق الى سوق العلاوى ، ويجاور معروف العطار ، وسوق الفراوى .

٥٦- ملا حماد : مسجده (إسماعيل كيتخدا) فى الزقاق الذى يتصل رأسه بسوق حمادة .. ونهايته تغضي الى محلة الشيخ علي .

٥٧- سوق حمادة : شهرته تفوق الوصف والتعريف .

٥٨- أحمد ومحمد : شقيقان من محلة الشيخ معروف زاملانى فى ملا حماد .

٥٩- إرحيم أو رحيم : صاحب مقهى كبيرة مليئة (تكتظ) جدرانها بالصور القديمة والمرايا الكبيرة وتنغمر بدخان النراجيل – قبالة الزقاق الذى ينحدر الى محلة الشيخ على .

٦٠- وهاب الكردى : واسمه (عبدالوهاب العبيدى) من منطقة الجسر القديم فى الأعظمية . لم التق به منذ أن فارقته فى عام ١٩٥٩ يروى عنه إنه لا يزال مرحاً ويهوى المقام .

٦١- إبراهيم الكردى : وإسنه (إبراهيم العبيدى) متقاعد برتبة مقدم أو عقيد لم يبارح الأعظمية حتى الآن ، ويتردد على مقهى (الجرداغ).

٦٢- أحمد عبدالجبار : أصله من الكرخ / سوق حمادة ، يعمل نجاراً فى مصافى الدورة لم ، أره منذ أن إفترقنا فى الستينات .

٦٣- مهدى وهادى وصبحى: أولا عمى عبدالجبار طه ، وقفوا معى وأزرونى فى (المحنه) ، إرتحل هادى شهيداً فى حرب ١٩٧٣ وهو برتبه مقدم وكان أمراً لكتيبة قتيبه ، أما مهدى فقد توفى إثر مرض أصابه ١٩٩٣ ، ولا يزال صبحى قريباً وصديقاً .

- عبود حمادى: خالى ، الذى كان بمثابة صديق ، لم نختلف يوماً ، كان ذا ميول ماركسية .

٦٤- كامل علوان الدفاعى : فى مطلع شبابه تبنى الفكرة القومية وعرف بحماسته الوحدوية، كان يعمل خياطاً للألبسة التجارية ، فى عمارة الدفتردار فى شارع (السموأل)أو ما يعرف بشارع المصارف . أخوه الأكبر ناجى الدفاعى كان على صلة وصداقة مع أبى وعمى .

٦٥- هادى الحلى : (المثقف الموسوعى) ، إقتيد الى التحقيق ولم يعد الى القاعه ، ولا يعرف أحد مصيره .

٦٦- على هارون الراوى : شرطى محلي ، كان يأتينى بالرسائل والأمتعه التى يرسلها أبى ، وقف كانت له مواقف طيبة .

٦٧- عبود حمادى صالح النعمان : عدا أنه خالى ، فقد كان أيضاً صديقى وهو يفضل أن أخاطبة بأسمه المجرد ، وهو خال خالد حبيب الراوى أيضاً ، أمضينا بصحبته سنوات طويلة منذ أن جاء الى بغداد لإستكمال دراسته (١٩٥٤) حتى رحيله عام ١٩٨٧ كان

يسارياً عقلانياً ، يتبنى بعض الإعتمادات الماركسية الفكرية ، يتسم بالإنفتاح (الوداعة) والسماحة ، والأفق الرحب ، يتقبل النقد ويؤمن بالرأى والرأى الآخر ، وكان طرازاً فريداً من دماثة الخلق وعلو الهمة ، وقارئاً نهماً ، ذو ثقافة عميقة . عمل فى حقل التربية والتعليم بصفة معلم ومدرس ومرشد ، وشارك فى معركتين عظيمتين : – معركة التعريب فى الجزائر ... والحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية ، إذ كان أحد أبرز المتحمسين لإنجاحها . قضى شهيداً فى شتاء ١٩٨٧ .

- فيصل محمد القرغولى ... الحسينية .
- ابراهيم حافظ البدرى ... الجعفرية .
- رياض صبورى النجم ... فيصل .
- الحاج صبرى المراياتى ... ثانوية الكرخ .
- برهان علوان ... المستكى (نوع من الخمرة المحلية فى الطرق) .
- حسين شبر ...
- عيدان ...
- مقهى رشيد .
- طارق غرام ...
- مزهر المشمش ...

٦٨- فواز عبدالحميد الساعدى : زميل متوسطة فيصل فى منطقة الشواكة ، رقيق الحال ينتمى الى عائلة كادحة ، كان ناصرياً فى أول الأمر وإعتنق عقيدة (البعث) ، التقيته فى ثمانينات القرن العشرين وهو يدخن (النارجيلة) فى إحدى مقاهى الكاظمية ، وكان يومها موظفاً حكومياً ، بأنه تزوج وأعقب العديد من الأواد . وهو يشكو من الأعباء المعيشية ، إذ لم توفر له الحياة فرصة الخروج من طبقته الكادحة .

٦٩- كامل جبر : زميل متوسطة فيصل ، قصير القامة ، معتد بنفسه ، نشط ، شديد الولع بالحوار السياسى ومتحدث لبق لا يكف عن مناقشة مخالفية فى الفصل والمدرسة يعد نفسة ناصرى الفكر والمنهج .

٧٠- ابراهيم حافظ البدرى : من كرد (بدرة) ينتمى الى عائلة كادحة صديق أحد شقيقى محلة (القشل) كان يتولى توزيع الأدبيات الماركسية على شبيه المحلة ، وأعارنى شخصياً ، الكثير منها ، فى الفترة التى سبقت ١٤ تموز ١٩٥٨ يتميز بأسلوبه الجاد

الهادئ فى الحوار وبأفق فكرى واسع الطيف . للرأى الأخر عرف فـي صـباه وشـبابه المعتقلات وملاحقات الأسن السياسى .. غادر العراق الى الاتحاد السوفيتى عقب أحـداث ٨ شباط ١٩٦٣ ، درس الإقتصاد السياسى فى جامعة باكو وتزوج مـن سـيدة روسـية وأنجب منها ولداً .. وبدأ يتردد على العراق منـذ الثمانينـات ، وأختفـى فـى أواسـط التسعينات ، وكان قد بلغ السبعين من عمره .

٧١- برهان علوان الربيعى : بدأ حياته فى القشل ناصرياً ، كان هو وأبـوه يـدران فنـدق ديالى الذى يقع فى رأسى المحلة على ناصية (علاوى الشورة) من جهة شارع غـازى . وإنقلب عقب ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وأصبح من أشد المناوئين للفكر الوحدوى وخصم لدود لإنصاره ومؤيديه فى مقابل قيامه بالدعوة الحارة للشيوعية على نحو عاظني إنفعـالى ، تخلى معه عن أصحابه وعلاقاته مع أصحاب الرأى الأخر بعـد أن صـنفهم فـى دائـرة (المقامرين) بوصفهم من عتاه البورجوازية .

٧٢- أرام إيليا : زميل مدرسة (فيصل) أحد أبرز المحرضين على تظاهرة متوسـطة فيـصل تأييداً لمصر فى مواجهة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، إذ إعتلى سور المدرسة . وهـو يوالى الهتاف بحياة جمال عبدالناصر ، وكان صوته المفعم بالحماسة كافيـاً لأن تنـتفض المدرسة ويخرج تلاميذها فى تظاهرة كبرى وهى تشق الشوارع صوب ثانوية الكـرخ .. وقد فرضت السلطات الحكومية على إدارة المدرسة توجيه عقوبات أرام إيليـا ، وسـامى العانى ، وخالد علوان وعبدالستار الراوى من بينهم .

٧٣- طارق عبدالحميد العبيدى : زميل مدرسة فيصل ، وحدوى ، من منطقة الفحامة بالكرخ دربوية البستان قرب الطمة ، معروف بأناقته وإعتنائه الشديد بمظهره ، يحب النساء حباً جماً ،وقد أضفى أصدقائه عليه لقب (طارق غرام) وبهذه الصفة عرف وإشتهر ، تـزوج مرتين .. التقيته فى نهاية التسعينات ، لم يتغير كثيراً إذ إحتفظ بأناقته وتسريحة شـعره المنسدل على جبهته وقد إقترب من العقد السادس .

٧٤- شبر حسين : جاء من النجف وأقام فى القشل (أعزباً) ، درس الحقوق ، وكان وسيطاً بين (أمل) زميلته فى الكلية ، حملته العديد من الرسائل وضرب (المواعيد) يهوى النساء وله مغامرات معروفة عمل عقب تخرجة من الجامعه مستشاراً قانونياً لدى الشركة العامة للأدوية فى بغداد .

٧٥- مكلف نجم جابر : زميل الدراسة فى فيصل ، ولصديق فى سنوات الجامعه . يسارى الهوى . هادئ الطبع ، وديع ، شاعر رقيق ، ملأ أيامناً بقصائده العذبة ، وكان عاشقاً كبيراً عمل مدرساً للغة العربية فى مدراس بغداد الثانوية ، التقيته فى الثمانينات ، بصحبة الصديق كاظم عجيل المكصوصى ، ولم أعثر له على أثر منذ ذلك التأريخ .

٧٦- كاظم عجيل المكصوصي : زميل الدراسة فى فيصل وصديق سنوات الجامعه ، كريم النفس والطباع ، ودوداً مرحاً جمع بين الدراسة والعمل إذ كان يدير محلاً لخاله يبيع فيه الألبسه النسائية فى السوق المجاور للمدرسة المستنصرية القديمة ، يغلب على كلامه اللغة العربية الفصحى ، إشتغل بعد تخرجة فى الجزائر وأمضى فيها عقداً من الزمن ، تزوج مرتين الأولى من سيدة جزائرية وإقترن بأخرى عراقية بعد أن طلق الأولى .. عمل لفترة طويلة معاوناً لمدير إعدادية المنصور وكان من بين مدرسيها الأكفاء .

٧٧- الشيخ كرم : فى الخامسة والسبعين من عمره من مواليد محلة (التكارثه) ومن أعلام رجالها ، ينحدر من أسرة (عانية) تنتمى الى الطبقة الوسطة ، تخرج من دار المعلمين الإبتدائية ، أحد تكوادر المتقدمة فى حزب الإستقلال قبل أن يخرج عليعه ويؤسس مع مجموعه من شبيبة الكرخ "الحزب العربى الإشتراكى " الذى رفع شعار "كفاح وحدة إشتراكية " إمتثالاً لأهداف الإتحاد الإشتراكى العربى الذى أقامه (الرئيس جمال عبدالناصر) فى الجمهورية العربية المتحدة ... وقد جالست الشيخ كرم فى مقهى التكارثه خلال الفترة (٥٨- ١٩٦٠) وقد إستطاع أن يجذب الى صفوفه جموعاً كثيرة من شباب الكرخ ، وظل وفياً للفكر الوحدوى ولمبادئ وتجربة الرئيس عبدالناصر ... التقيته فى داره بشارع حيفا ، عام ١٩٩٩ خلال الأزمة الصحية التى أقعدته عن الحركة ، والزمته الفراش .